هدى الثقلين

تصدر عن دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة

مجازة من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

معتمدة لأغراض الترقية العلمية

السنة الثانية/ المجلد الثاني/ العدد (٤)

شهر جمادى الآخرة ١٤٤٧هـ - كانون الأول ٢٠٢٥م

جُمْهُورِيَّةُ العِرَاقِ
دِيوَانُ الوَقْفِ الشِّيعِيِّ
الأَمَانَةُ العَامَّةُ لِلْعَتَبَةِ الحُسَيْنِيَّةِ المُقَدَّسَةِ

هَدْيُ الثَّقَلَيْنِ

مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ نِصْفُ سَنَوِيَّةٍ مُحَكَّمَةٌ تُعْنَى بِتَفْسِيرِ النَّبِيِّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ
(صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِم) لِلْقُرْآنِ الكَرِيـــــم
تَصْدُرُ عَنْ دَارِ القُرْآنِ الكَرِيمِ فِي العَتَبَةِ الحُسَيْنِيَّةِ المُقَدَّسَـــةِ
مُجَازَةٌ مِن وِزَارَةِ التَّعْلِيمِ العَالِيّ وَالبَحْثِ العِلْمِيِّ
مُعْتَمَدَةٌ لِأَغْرَاضِ التَّرْقِيَةِ العِلْمِيَّةِ

التَّرْقِيمُ الدَّوْلِي: ISSN:3005-415x

العِنْوَان: العِرَاق – كَرْبَلَاء المُقَدَّسَة – دَار القُرْآنِ الكَرِيمِ فِي العَتَبَةِ الحُسَيْنِيَّةِ المُقَدَّسَةِ

رَقْمُ الإِيدَاعِ فِي دَارِ الكُتُبِ والوَثَائِقِ العِرَاقِيَّةِ ٢٧١٥ لِسَنَةِ ٢٠٢٤م

لِلمَعْلُومَاتِ والاتِّصَال: ٠٧٧٣٥٣٠٠٨٣٥

البَرِيدُ الإِلِكتْرُونِي: hudaalalthaqalein@gmail.com

تَسْتَقْبِلُ مَجَلَّةُ (هَدْيُ الثَّقَلَيْنِ) البُحُوثَ الأَكَادِيمِيَّةَ الرَّصِينَةَ غَيرَ المَنْشُورَةِ، بِاللُّغَتَيْنِ العَرَبِيَّةِ والإِنْكِلِيزِيَّةِ.

بطاقة الفهرسة

BP130 .A82 2024 VOL. 1 NO. 0

العتبة الحسينيَّة المقدَّسة (كربلاء، العراق) دار القرآن الكريم.

هَــدِي الثقلين: مجلَّة علميَّة نصف سنويَّة محكَّمة تُعنى بتفسير النبي وأهل بيته (صلوات اللَّه عليهم) للقرآن الكريم/ تصدر عن دار القرآن الكريم في العتبة الحسينيَّة المقدَّسة – كربلاء، العراق: العتبة الحسينيَّة المقدَّسة، دار القرآن الكريم، ٢٠٢٥م/ ١٤٤٧ للهجرة.

مجلَّد: ٢٤سم – نِصف سَنويَّة، السَّنةُ الثَّانية، المُجَلَّد الثَّاني، العَدَد (٤)، شَهر جُمَادَى الآخِرَة ١٤٤٧هـ – كَانُون الأوَّل ٢٠٢٥م.

(العتبة الحسينيَّة المقدَّسة؛ ١٣٥٧)، (دار القرآن الكريم).

يَتَضمَّن إرجاعات ببليوجرافية.

تصدر المجلة باللغتينِ العربيَّة والإنجليزيَّة.

١ .القرآن– تفسير الشيعة الإماميَّة– دوريات.

٢ .القرآن تفاسير مأثورة (الشيعة الإماميَّة)– دوريات.أ.العنوان.

تمَّت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكريَّة والثقافيَّة في العتبة الحسينيَّة المقدَّسة.

قصيدة تؤرخ فيها مجلة هدي الثقلين وهي مجلة علمية
نصف سنوية محكمة تعنى بتفسير النبي وأهل بيته
صلوات الله عليهم للقرآن الكريم، صدرت عن دار القرآن
الكريم في العتبة الحسينية المقدسة

سفر جميل وربت مثل السنا ... عند الحسين في الطفوف صدرت
في طيها كل تفاسير الهنا ... وهي بقول الآل حقا هدرت
آراؤها مزبورة فيها الغنى ... سلسالها العلم ومنه انتشرت
ميدانها الآي ومنها قد دنا ... واستبقت باب الهدى إذ شمرت
من دار قرآن كريم يحوينا ... بالخير والقول الجميل قد سرت
والليل ولى بل أصيب بالفنا ... أستاذه قد مزقت وانثرت
يا حسنها كل إليها أذعنا ... حين إليها كل عين نظرت
ها قد أناخت ركبها الغالي هنا ... فازدهرت أبوابها بل أثمرت
فاليوم عند السبط إذا أقصى المنى ... أرخ: هدى الثقلين صدرت

علي الصفار الكربلائي

١٤٤٤هـ

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Department

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم الشؤون العلمية

No.: ١٨٤٣/٤٠٧
Date: ٢٠٢٤/٩/١٦

ديوان الوقف الشيعي / الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

م/ مجلة هدى الثقلين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اشارة الى كتابكم ذي الرقم ح٢٥١٤٩/٣٩ بتاريخ ٢٠٢٤/٤/٢٧ بشأن استحداث واعتماد مجلتكم لأغراض النشر والترقيات العلمية وتسجيلها ضمن موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية وبعد استكمال الملاحظات الخاصة بضوابط الاستحداث بموجب كتابكم المرقم ح٤٧٧١٢/٣٩ في ٢٠٢٤/٨/٢٧، حصلت الموافقة بتاريخ ٢٠٢٤/٩/٨ على أعتماد المجلة المذكورة في الترقيات العلمية والنشاطات العلمية المختلفة الاخرى واعتباراً من المجلد الاول - العدد الاول - كانون الثاني لسنة ٢٠٢٤ لتسجيل المجلة في موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية.

للتفضل بالاطلاع وابلاغ مخول المجلة لمراجعة دائرتنا لتزويده باسم المستخدم وكلمة المرور ليتسنى له تسجيل المجلة ضمن موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية وفهرسة اعدادها ، ويعتبر ذلك شرطاً اساسياً في اعتمادها بموجب الفقرة (٣١) من ضوابط الاستحداث واصدار المجلات العلمية في وزارتنا.

...مع وافر التقدير

ا.د. لبنى خميس مهدي
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠٢٤/ ٩ / ١٦

نسخة منه الى:
- مكتب السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي/ اشارة الى موافقة سيادته بتاريخ ٢٠٢٤/٩/٨ على أصل مذكرتنا المرقمة ب ت م٦٧٩٢/٤ في ٢٠٢٤/٩/٨/ للتفضل بالاطلاع ...مع التقدير.
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والترجمة و النشر.... مع الاوليات
- الصادره

مهند ابراهيم
١٠/ أيلول

رئيس التحرير

أ. د. هاشم جعفر حسين الموسوي

اللغة العربيَّة – اللغة والنحو

جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الإنسانيَّة/ العراق

مدير التحرير

أ. م. د. عمَّار حسن عبد الزهرة/ اللغة العربيَّة – لسانيات

وزارة التربية/ مديريَّة تربية كربلاء/ العراق

مدقق النصوص العربية

د. عماد طالب موسى

مدقق النصوص الانكليزية

م.م إباء الدين حسام عباس

العلاقات والتنسيق والإعلام

الأستاذ علي فضيلة خضير الشمري

هيأة التحرير

م. د. الشيخ خير الدِّين علي الهادي

رئيس دار القرآن الكريم في العتبة الحسينيَّة/ العراق

اللغة العربيَّة – لسانيات

أ. د. حميد عبد جواد النَّجدي

رئيس جامعة أهل البيت عليهم السلام _ العراق.

أ.د. مكي محي عيدان الكلابي

اللغة العربية _ دلالة

جامعة كربلاء/ كلية التربية/ العراق

أ. د. ضرغام كريم كاظم الموسوي

الفقة وأصوله

جامعة كربلاء/ كليَّة العلوم الإسلاميَّة/ العراق

أ. د. سامي ماضي إبراهيم الربيعي

اللغة العربيَّة _ نحو ودلالة

الجامعة المستنصريَّة/ العراق

أ. د. لطيفة عبد الرسول عبد علي الضايف

اللغة العربيَّة _ نحو ودلالة

الجامعة المستنصريَّة/ العراق

أ. د. عبد الإله عبد الوهاب العرداوي
اللغة العربيَّة وآدابها _ أدب إسلامي
جامعة الكوفة – كليَّة التربيَّة الأساسيَّة/ العراق

أ. د. عبد الحميد مدكور
الأمين العام لمجمع اللغة العربيَّة في القاهرة
الفلسفة الإسلاميَّة/ جامعة القاهرة/ مصر

أ. د. عيسى علي عاكوب
عضو مجمع اللغة العربية/ دمشق- سوريا

أ. د. غازي مهدي جاسم الشمري
الفكر الإسلامي وتأريخ الحضارة العربية
جامعة وهران/ الجزائر

أ. د. محمد رضا ستود هنيا
علوم القران والحديث
كلية الإلهيات ومعارف أهل البيت عليهم السلام جامعة
أصفهان/ إيران

أ. م. د. محمَّد عبد الحسن كاطع
تاريخ الحضارة الإسلاميَّة
جامعة المصطفى العالميَّة/ فرع العراق

أ. م. د. سحر ناجي فاضل المشهدي
دلالة ونحو
الكليَّة التربويَّة المفتوحة في النجف الأشرف/ العراق

م. د. حيدر فاضل عباس العزاوي
اللغة العربيَّة_ لسانيات
وزارة التربية/ مديريَّة تربية كربلاء

التصميم والإخراج الفني
الحسن ميثم عزيز

قواعد النشر في المجلَّة:

تستقبل هديُ الثَّقلينِ البحوث والدراسات الرصينة على وفق القواعد الآتية:

١. يشترط في البحث أن يكون مكتوبًا على وفق منهجية البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها عالميًا .

٢. أن يكون البحث منسجمًا مع المجال المعرفي الذي ترعاه المجلة وتوجهها في نشر الأبحاث التي تختصُّ بتفسير النبي وأهل البيت عليهم السلام للقرآن الكريم .

٣. أن لا يكون البحث منشورًا في مجلَّة، أو مقدّمًا إلى أيَّة وسيلة نشر أخرى، أو مستلًّا من كتابٍ أو رسالةٍ جامعيَّة، أو محمَّلًا على الشبكة العنكبوتيَّة.

٤. أن يكون البحث مبتكرًا في موضوعه، يُعالج قضايا تفسيريَّة مُهِمَّة تتلاءم مع المعطيات المعاصرة للحاجات المعرفيَّة.

٥. يقدَّم البحث مطبوعًا على ورق A4، وبنسخةٍ إلكترونيَّة على قرص مدمج(CD)، أو يُرسل على البريد الإلكتروني، على أن لا يتجاوز ما هو متعارف عليه علميًّا بحدود (٥٠٠٠ – ١٠٠٠٠) كلمة، وبخط Simplified Arabic مع احتفاظ الباحث بنسخة الأصل.

٦. أن يحتوي البحث على ملخَّص باللغة العربية، وآخر باللغة الإنكليزية، كلّ في حدود صفحة مستقلة على أن يحتوي ذلك عنوان البحث، ويكون الملخص بحدود (٣٥٠) كلمة، مع مقدِّمة ومباحث ونتائج، وفهرس مفصَّل بالمصادر.

٧. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على اسم الباحث/ الباحثين، وعنوانه/ عناوينهم وجهة العمل، والعنوان الوظيفي، ورقم الهاتف، والبريد الإلكتروني مع مراعاة عدم ذكر اسم الباحث أو الباحثين في مَتن البحث أو أي إشارة إلى ذلك .

٨. يزوَّد البحث بقائمة المصادر والمراجع منفصلة عن الهوامش، وفي حالة وجود مصادر ومراجع أجنبية تُضاف قائمة خاصَّة بها عن قائمة المراجع والمصادر العربيَّة، ويراعي في إعدادهما الترتيب الألفبائي لأسماء الكتب أو البحوث في المجلَّات.

٩. تُطبع الجداول والصور واللوحات على أوراق مستقلّة ويُشار في أسفل الشكل إلى مصادرها، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن .

١٠. إرفاق نسخة من السيرة العلميَّة إذا كان الباحث ينشر في المجلَّة للمرَّة الأولى، وعليه أن يشير إلى اسم أيَّة جهة علميَّة، أو غير علميَّة قامت بتمويل البحث، أو المساعدة في إعداده.

١١. تخضع البحوث المقدَّمة للنشر لتدقيق نسب الانتحال في ضوء أحد البرامج المعتمدة، والأنظمة المقرَّة من لدن وزارة التعليم العراقيَّة.

١٢. تحتفظ هيأة التحرير بحقِّ حجب نشر البحث الذي لا ينسجم مع سياسة المجلَّة في نشر تفسير النبي وأهل البيت عليهم السلام للقرآن الكريم حصرًا، أو ما لا يتوافق مع منهج البحث العلميّ أو الموضوعيّ، أو ما فيه مسٌّ لجوهر العقائد الإسلاميَّة ورموزها الفكريَّة والدينيَّة .

١٣. تعبِّر الأفكار المنشورة في المجلَّة عن آراء كاتبيها، ولا تعبِّر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار، ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنيَّة صرفة.

١٤. تخضع البحوث لتقويم سري لبيان صلاحيَّتها للنشر، ولا تُعاد البحوث إلى أصحابها سواء أُقبِلَت للنشر أم لم تقبل، وعلى وفق الآليَّة الآتية:

أ- يبلغ الباحث بتسليم المادة المرسلة للنشر.

ب- ثمَّ يُشعر أصحاب البحوث المقبولة للنشر بموافقة هيأة التحرير على نشرها بعد إخضاعها إلى تقييم سري من ذوي الاختصاص.

جـ- البحوث التي يرى المقوِّمون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تعاد إلى أصحابها، مع الملاحظات المحددة لكي يعملوا على التعديل في ضوئها، ثمَّ بعد ذلك تُرسل للنشر.

د- البحوث المرفوضة يبلغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

هـ- يشترط في قبول النشر موافقة خبراء الفحص.

١٥. ترسل البحوث على البريد الإلكتروني للمجلّة:

hudaalalthaqalein@gmail.com

أو تُسَلَّم مباشرةً إلى مقر المجلة على العنوان الآتي:

كربلاء المقدسة – العتبة الحسينية – دار القرآن الكريم

سياسة النشر

تستقبل مجلَّة (هدي الثقلين) مشاركاتكم من الأبحاث الرصينة، والدِّراسات المبتكرة والبحوث العلميَّة الناتجة عن الندوات والمؤتمرات باللغتين العربيَّة والإنكليزيَّة؛ على وفق سياسة النشر الخاصَّة بها والمتمثِّلة بالآتي:

١- مجلَّة (هدي الثقلين) مجلَّة دورية مُحكَّمَة نصف سنوية.

٢- المجلَّة مختصَّة بنشر الأبحاث المختصَّة بتفسير النبيّ صلى الله عليه وآله وأئمَّة أهل البيت عليهم السلام.

٣- تحتفظ المجلَّة بحقوق النشر والطبع كافَّة، وآراء المؤلِّفين الواردة جميعًا في البحث أو المادة العلميَّة تعبِّر عن وجهة نظرهم، ولا تُعَدُّ المجلَّة مسؤولة عنها بالضرورة؛ استنادًا لمبدأ استقلاليَّة الرأي.

٤- المجلَّة غير ملزمة بردِّ أصول البحوث سواء نشرت أم لم تنشر، وفي حال سحب البحث من لدن الباحث فعليه الالتزام بردِّ تكاليف التحكيم وتكاليف برنامج الانتحال.

٥- أولويَّة نشر البحوث بحسب أسبقيَّة الحصول على قبول النشر، ويستثنى من ذلك البحوث ذات السبق العلميّ والمادَّة المبتكرة بعد ترشيح من هيأة التحرير.

٦- يشترط بالمادة العلميَّة المراد نشرها بالمجلَّة، أن لا تكون قد سبق نشرها في مجلَّة أو دوريَّة أو مؤتمر علميّ، بتعهد يقدِّمه الباحث، وبخلافه يتحمَّل الباحث المسؤوليَّة القانونيَّة وتكاليف التحكيم وبرنامج الاستلال كافَّة.

٧- يلتزم الباحث بعدم إرسال بحثه أو مادَّته العلميَّة إلى أيِّ جهةٍ أخرى لغرض النشر، حتَّى يصله رد المجلَّة بصلاحيَّة بحثه أو مادَّته العلميَّة للنشر من عدمه بمدَّة لا تتجاوز ثلاثين يومًا من تاريخ استلام المجلَّة للبحث أو المادَّة العلميَّة، وبخلافه تحتفظ المجلَّة بحقوقها القانونيَّة والماليَّة كافَّة.

٨- يتعيَّن على الباحث أن يلتزم بشروط النشر المتاح على موقع المجلَّة الإلكتروني الرسمي، ويتعهد بأنَّه قد اطَّلع عليها.

٩- يجب على الباحث مراعاة الأمانة العلميَّة في البحث العلميّ والدراسة الأكاديميَّة، وفي مقدِّمتها أخلاقيَّات البحث العلميِّ وبنود لجنة أخلاقيات النشر (Committee On Publication Ethics) مثال ذلك، توثيق المراجع والمصادر والنصوص القانونيَّة والعلميَّة، ومراعاة الموضوعيَّة والمنهجيَّة في الكتابة، وبخلافه يتحمَّل الباحث المسؤوليَّة القانونيَّة والإداريَّة والماليَّة الكاملة عن أيِّ انتهاك أو تجاوز لهذه الأخلاقيَّات طبقًا للقوانين والتعليمات الوطنيَّة أو الدَّوليَّة، ومنها قانون حماية المؤلِّف رقم (٣) لسنة ١٩٧١.

١٠- تخضع جميع البحوث العلميَّة المراد نشرها بالمجلَّة لتدقيق نسبة الانتحال (Plagiarism) ضمانًا لعدم نشر البحوث مسروقة النَّصِّ جزئيًّا أو كليًّا، وبخلافه يتحمَّل الباحث المسؤوليَّة القانونيَّة والماليَّة والإداريَّة الكاملة.

١١- تخضع المادَّة العلميَّة التي تنشرها المجلَّة للتحكيم الشفاف والمراجعة العلميَّة المتخصِّصة (Peer-reviewed process) فضلًا عن التدقيق اللغوي (للغة العربية واللغة الإنكليزية)، ويكون للمجلَّة صلاحيَّة الموافقة على النشر فيها من عدمه؛ استنادًا إلى الآراء الأوليَّة لهيأة تحرير المجلَّة أو آراء المحكِّمين المتخصِّصين.

١٢- يقدِّم الباحث مع البحث أو المادَّة العلميَّة المراد نشرها موجزًا بالسيرة العلميَّة للباحث (نبذة تعريفية) مع بريده الإلكتروني الرسمي الذي ينتهي بامتداد (edu.iq) بالنسبة للسادة الباحثين العراقيين أو البريد الشخصي للباحث مع رقم الهاتف.

١٣- يُمنح كلُّ باحثٍ نسخة ورقيَّة من العدد المنشور فيه بحثه، ولا تتحمَّل المجلَّة أجور إرسال النسخة الورقيَّة للباحث.

١٤- تعمل المجلَّة على وفق آليَّة النشر المفتوح وسياسته (Open Access).

١٥- تلتزم المجلَّة بمنح الباحث قبول النشر حين استكمال جميع المتطلَّبات الخاصَّة بالنشر من قبيل استكمال ملاحظات المحكِّمين والتعهد وغير ذلك.

١٦- تستقبل المجلَّة البحوث أو المادَّة العلميَّة المراد نشرها بالطرق الإلكترونيَّة، ووسائل التواصل الخاصَّة برقم المجلَّة مثل الواتساب والتليكرام المتاحين على الموقع الرسمي للمجلَّة، أو يسلِّمها الباحث بصورةٍ شخصيَّة .

نشاط المجلَّة

عمل دار القرآن الكريم في العتبة الحسينيَّة المقدَّسة على رعاية كتاب اللَّه تعالى بشتَّى الجوانب، وبذل الجهود الكبيرة من أجل توثيق الصِّلة بينه وبين المجتمع على اختلاف شرائحه، وكان نتيجة ذلك انبثاق مشاريع كثيرة يطول ذكرها، ومن تلك المشاريع العمل على دراسة تفسير النبيِّ وأهل بيته عليهم السلام للقرآن الكريم، وقد بدأت الدَّار بهذا العمل منذ سنين عدة، فكان نتاجها مشاريع كثيرة أهمُّها إنتاج موسوعة أهل البيت عليهم السلام القرآنيَّة، وقد بلغت ستِّين مجلَّدًا، وهي بمجملها وتفاصيلها لم يُسلَّط عليها الضوء ولم تعمل الأقلام فيها بحثًا، فكان النتاج بكرًا بالهيأة التي انتهت الدَّار إلى صياغتها، وحان الآن أن تُقَنَّن تلك الجهود بمساراتٍ علميَّة فتدخل تلك الثروة المعرفيَّة إلى المؤسسات الأكاديميَّة والمراكز العلميَّة؛ لتأخذ حيِّزها على وفق الوسائل المعترفِ بها أكاديميًّا والمسارات المتَّفق عليها منهجيًّا، ومن هنا شرعت الدار ببناء وسائل توازي الحاجات المعرفيَّة وتتَّفق مع المعطيات المعاصرة، ومن تلك الوسائل العمل على استحداث مجلَّة (هَدْي الثقلين) وتحكيمها بعد تهيئة المادَّة العلميَّة للباحثين، وصولًا إلى الوعي التَّامِّ بجهوزيَّة البناء المعرفي، للإنطلاق بأوَّل مشروعٍ بكرٍ في العالم الإسلامي، وهو مجلَّة علميَّة محكَّمة تُعنى بتفسير النَّبيِّ وأهل بيته عليهم السلام.

لماذا هَدْيُ الثَّقَلَين؟

هذا الاسم مستقى من حديث الثَّقلين الذي اتَّفقت الأمَّة الإسلاميَّة على مَضمونه، وهو قول رسول اللَّه صلى الله عليه وآله: ((إنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْن: كتابَ اللَّهِ وعِتْرتي))، ومن هنا أُريد لهذه المجلَّة أن تكون مصداقًا عمليًّا لتطبيق وصيَّة الرسول صلى الله عليه وآله في التَّمسُّك بالقرآن الكريم والعترة الطَّاهرة، الذي يُنجي من الهلاك ويعصمُ من الضَّلال فكانت (هدي الثَّقلين) .

يقول ابن فارس (ت: ٣٩٥ هـ) في صدد بيان لفظة: (هَدَيَ) في اللغة إنَّ له أَصْلَين: ((أَحَدُهُمَا التَّقَدُّمُ لِـلْإِرْشَادِ، وَالْآخَرُ بَعْثَةُ لَطَف، فَالْأَوَّلُ قَوْلُهُمْ: هَدَيْتُهُ الطَّرِيقَ هِدَايَةً، أَيْ تَقَدَّمْتُهُ لِأُرْشِدَهُ))، وَكُلُّ مُتَقَدِّمٍ لِذَلِكَ هَادٍ وما نريده من لفظة (هدي) في الاسم، هو معنى (التَّقَدُّمُ لِلْإِرْشَادِ)، وقد قدَّم الرسول صلى الله عليه وآله الثقلين لإرشاد الأمَّة، وجعلهما العاصمين من الضَّلال: ((إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي))، أمَّا المقصود بالثقلين في هذا الحديث فقد نصَّ اللغويون على بيان ذلك، ومنهم: محمد بن أحمد بن الأزهري (ت: ٣٧٠هـ) في تهذيبه قال:((فسَّر النبيّ صلى الله عليه وآله الثَّقَلين فجعلهما: كتاب اللَّه عزَّ وجلَّ وعترته عليهم السلام، وأصل الثَّقَل أنّ العَرَب تَقول لكلِّ شَيْء نَفِيس مَصُون: ثقل))، وبيَّن سبب تسميتهما بالثَّقلين الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١ هـ) بما نقله في معاني الأخبار بقوله: ((لأنَّ التمسك بهما ثقيل)) وبيَّن أحمد ابن محمد الهروي (ت: ٤٠١ هـ) في غريبيه سببًا آخر بقوله: ((إِعْظَامًا لقدرهما وتفخيما لشأنهما))، وتابعه ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ) في غريبه، والصَّنعاني (ت:٦٥٠ هـ) في تكملته، وابن منظور (ت: ٧١١هـ) في لسانه، ومرتضى الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) في تاجه، أمَّا سبب الإعظام والتفخيم لهما فيفسِّره جمال الدين الكجراتي (ت: ٩٨٦هـ) في مجمعه بقوله: ((إذ يستصلح الدين بهما ويعمر كما عمرت الدنيا بالثقلين)) وهذا ما نريده من التسمية بـ (هدي الثَّقلين) أي متابعة إرشادهما وهديهما، ونقل الشريف الرَّضي (ت: ٤٠٦ هـ) في مجازاته تعليلًا آخر بقوله: ((إنَّما سُمِّيا بذلك؛ لأنَّهما العدَّتان اللتان يُعَوَّلُ في الدين عليها، ويقوم أمر العالم بهما)).

لماذا التَّخصُّص بتفسير النَّبيِّ وأهل البيت عليهم السلام؟

جاء التَّخصُّص من الملازمة بين القرآن والعترة التي أسَّسها الرسول صلى الله عليه وآله لحفظ الأمَّة من الضلال، وأبان لها طريق الهداية العاصم من الانحراف بوصيَّةٍ لا نستبعد

الإعجاز في حفظها ورعايتها على نسقٍ اتَّفقت الأمَّة الإسلاميَّة بمختلف مشاربها على روايتها وصحَّتها؛ بل تواتر مضمونها وهي وصيَّة رسول اللَّه ﷺ بالتَّمسكِ بالثقلينِ وأنَّهما العاصمانِ من الضلال ولن يفترقا حتَّى يردا عليه الحوض.

وفي ضوء ما تقدَّم يُستبانُ أنَّ القرآن الكريم والنبيَّ الأكرم ﷺ بمعيَّة أهل بيته عليهم السلام هما الطريقان العاصمانِ من الضَّلالة، ولا يمكن لأحدٍ أن يكون أكثر قربًا لكلام اللَّه تعالى منهم بدليل نصِّ الرسول المتقدِّم، ومن هنا فإنَّهم أساس انطلاق الوعي بالقرآن الكريم وفهم محتواه ومضامينه.

وهم نقطة التقاء المسلمين جميعًا؛ إذ لا خلاف في فضلهم وعلوِّ مقامهم وعلمهم وأخذ الدِّين منهم، ومحبَّتهم وموالاتهم، بدليل احتواء كتب المسلمين على اختلاف انتماءاتهم بأحاديثهم ورواياتهم وسيرهم، وإطباقهم على تبجيلهم وتكريمهم.

فضلًا عمَّا سبق فإنَّ هذا الحقل المعرفي (تفسير النَّبيِّ وأهل بيته) لم يُسلَّط عليه الضوء بشكلٍ يُناسب أهميَّته، وكذا لم تُفرد له مجلَّة علميَّة محكَّمة متخصِّصة في رصده ودراسته.

حدود المجلَّة واهتماماتها:

تتبنَّى مجلَّة (هدي الثَّقلين) دراسة تفسير النَّبيِّ الأكرم وأهل بيته عليهم السلام للقرآن الكريم، ولا تتوقَّف عند حدود مدوَّناتٍ بعينها، وإنَّما تراقب آثارهم أينما وُجدت على نسق المعيار الذي أسَّسوه عليهم السلام، وهو عرض الأخبار الواردة عنهم على القرآن الكريم فما وافقه قُبِل وما لم يوافقه يُردُّ، وعلى أساس هذه الضابطة فإنَّ المجلَّة تستقبل الدِّراسات التي تُعنى بتفسيرهم للقرآن الكريم من دون تحديد المدونات أو تصنيفها؛ لأنَّنا قد راقبنا تفسير النبيِّ وأهل بيته عليهم السلام فوجدناه متفرِّعًا من شمولية القرآن الكريم واتِّساعه؛ ليكون هديًا للإنسان في حياته وآخرته.

الرؤية:

تفسير النَّبي وأهل بيته عليهم السلام ضرورة دينيَّة وحاجة معرفيَّة؛ لتلازمهما الشرعي والمعرفي بوصفهم عِدْل القرآن الكريم.

الرِّسالة:

تسعى المجلَّة إلى دراسة تفسير النَّبيِّ وأهل بيته عليهم السلام للقرآن الكريم على وفق المعايير الأكاديمية في المنهج العلميِّ الرَّصين مع الأصول الإسلاميَّة ومبادئها الفكرية، وبما يتوافق مع الحاجات المعرفيَّة المعاصرة؛ وبما يمكن التنبُّؤ به من حاجاتٍ معرفيَّة مستقبليَّة فتهيِّء إجاباتٍ مسبقةً عن أهمِّ تساؤلات المعرفة.

الأهداف:

١. المشاركة الفاعلة في بناء مجتمع المعرفة وتصحيح مساراته بنشر بحوثٍ علميَّةٍ رصينةٍ محكَّمةٍ من لدن خبراء متخصصين.

٢. تلبية حاجات الباحثين في مجال التفسير القرآنيّ على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية كافَّة .

٣. إضافة رصيد علمي متخصص لخدمة الباحثين وإثراء المعرفة في مجال التفسير القرآني.

٤. توثيق الصِّلات المعرفيَّة ومدّ جسور التعاون بين المراكز البحثيَّة والجامعات الأكاديميَّة؛ بغية الارتقاء بالمعرفة التفسيريَّة وإخراجها على نمطٍ يوازي المتطلبات المعاصرة.

٥. بيان رؤية النَّبي وأهل بيته عليهم السلام للخطاب القرآنيّ وأساليب تحليله، وأسس فهمه ومحدِّدات الاجتهاد لمن يتصدَّى لتفسيره.

٦. العمل على إظهار تفسير النَّبيِّ وأهل بيته عليهم السلام للقرآن الكريم، وجعله بوصلةً تنتظم عليه التفاسير الأُخَر؛ بوصفهم عِدْلَ القرآن الكريم بنصِّ الرسول صلى الله عليه وآله.

٧. بيان المعارف القرآنيَّة التي فتق النَّبيِّ وأهل بيته عليهم السلام معادنها، وأهمُّها تأسيسهم لحفظ القرآن وصيانة لغته من اللحن، والعمل على ديمومتها وحفظها من الزوال .

٨. الكشف عن جهود أهل البيت عليهم السلام وأثرهم في مدونات المسلمين وغيرهم ودراستها على وفق رؤيةٍ علميَّةٍ متخصِّصة.

المُحتَوَيات

ص	عُنوَانُ البَحث	اسمُ البَاحِث
٢٧	المَلَامِحُ التَّفْسِيريَّة الرَّضَويَّة في كِتَاب (كَلِمَة الإمام الرِّضَا عليه السلام) لآيَة اللَّه الشَّهيد السَّيد حَسَن الحُسَيني الشِّيرَازي قدس سره	أ.د خليل خلف بشير جامعة البصرة/ كليَّة الآداب
٦٣	المَنْهَجُ الفِقْهِي في تَفْسِير القُرْآنِ عِنْدَ الإمَامِ الجَوَاد عليه السلام	أ. د. أحمد الصفار جامعة مانشستر/ بريطانيا
٩٩	دَلَالَاتُ مَرْوِيَّات أُبَان بن تَغْلُب (ت:١٤١هـ/ ٧٥٨م) في العُلُوم الدِّينِيَّةِ دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّة	أ م د:عبَّاس نصيف جاسم كلية الإمام الكاظم عليه السلام الجامعة/ أقسام بابل
١٤١	أَثَرُ أَمِير المُؤْمِنِينَ عليه السلام في بَيَانِ المُنْطَلَقَاتِ المَعْرِفِيَّةِ لتَفْسِيرِ النَّصِّ القُرْآنِيِّ	م.د سجاد هادي صاحب العنبكي جامعة الكوفة/ كليَّة الفقه
١٧٧	التَّأويلُ القُرْآنيُّ عند الإمَام الهَادِي عليه السلام فِي الزِّيَارَةِ الجَامِعَةِ الكَبِيرَةِ	م . د. أحمد راضي جبر الشمَّري المديريَّة العامَّة للتربية في بابل

٢٠٥
التَّفسِيرُ المَوضُوعِي عِندَ الإمَامِ عَليّ عليه السلام دِرَاسَةٌ تَأصِيليَّةٌ
م.د ساجد صباح العسكري
جامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام
فـرع ذي قـــار

٢٣١
المَنظُومَةُ المَعرِفِيَّةُ لَدَى أَمِيرِ المُؤمِنِينَ عليه السلام وَأَثَرُهَا فِي بَيَانِ الإِعْجَازِ العِلْمِي
م.د محسن عبد العظيم آل الشيخ هادي الخاقانيّ
جامعة الكوفة/ كليَّة التربية

٢٧٩
المَنهَجُ التَّفْسِيرِي عِنْدَ آلِ البَيتِ عليهم السلام
د. صالح الطائي
محافظة واسط / متقاعد

٣١١
تَصْنِيفٌ اقْتِرَاحِيٌّ جَدِيدٌ للأَدوَارِ القُرْآنِيَّةِ التَّفسِيرِيَّةِ للإِمَام أَمِيرِ المُؤمِنِينَ عليه السلام قِرَاءَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ
د. خالد غفوري الحسنيّ
جامعة المصطفى العالميَّة

٣٤٧
المَرْجِعيَّاتُ الحِجَاجِيَّة لإِثْبَاتِ وِلَايَةِ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ عليه السلام دِرَاسَة فِي ضَوءِ تَحْلِيلِ الخِطَاب
م . د عماد طالب موسى الخزاعي
المديرية العامة للتربية في محافظة كربلاء المقدَّسة

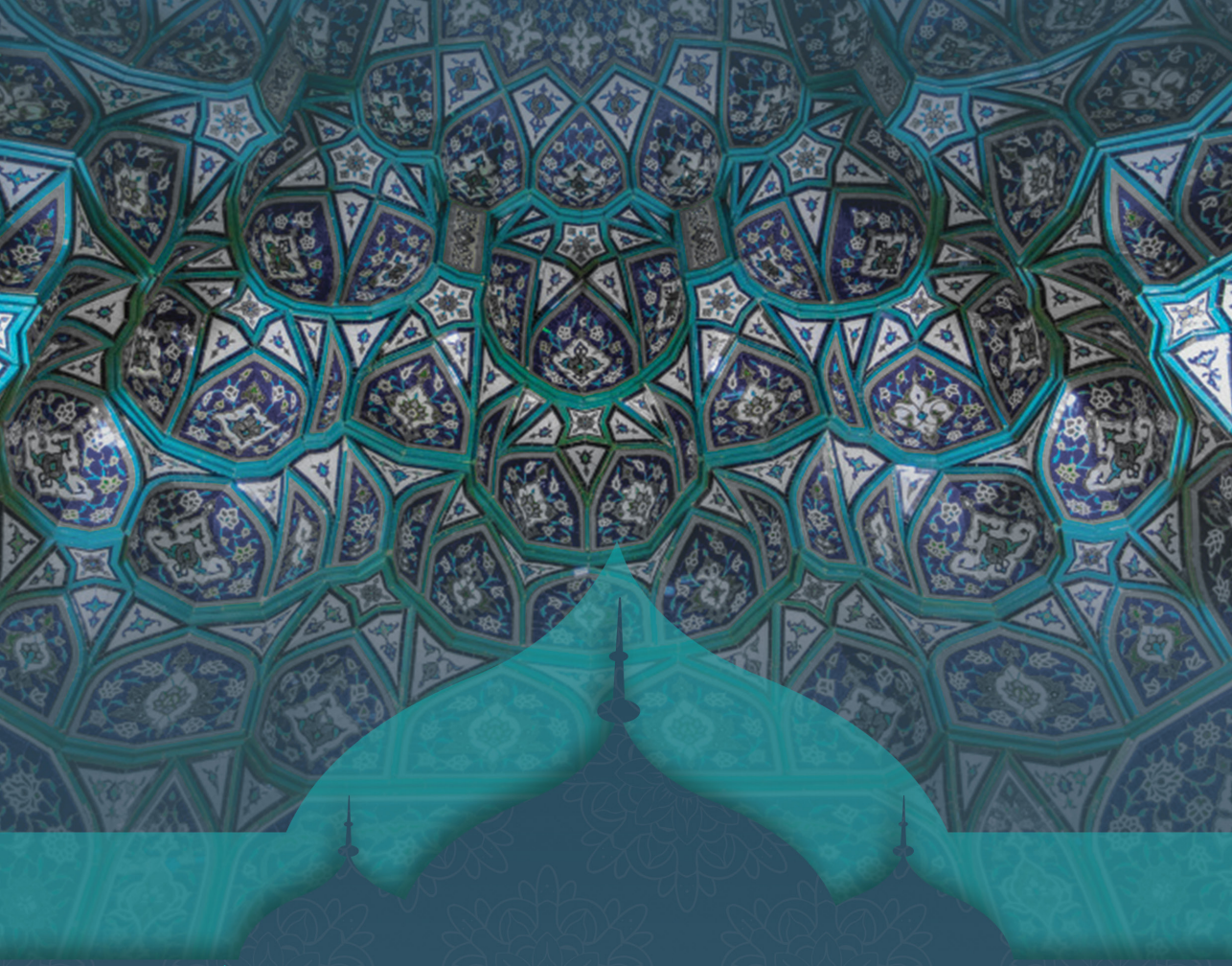

تَصْنِيفٌ اقْتِرَاحِيٌّ جَدِيدٌ للأَدوَارِ القُرْآنِيَّةِ التَّفسِيرِيَّةِ للإِمَامِ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ عليه السلام قِرَاءَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ

د. خالد غفوري الحسنيّ
جامعة المصطفى العالميَّة

A New Proposed Classification of the Qur'anic Exegetical Roles of Imam the Commander of the Faithful (Ali Ibn Abi Talib Peace Be Upon Him) An Analytical Reading

Dr. Khalid Ghafouri al-Hasani
Al-Mustafa International University

المُلَخَّص:

لقد ترك لنا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تراثًا علميًّا ثريًّا ولا سيَّما في العلوم القرآنيَّة في قالب الروايات التفسيريَّة المأثورة؛ ولكنَّ هذا التراث ما يزال به حاجة إلى اكتشاف معالمه، ومن جملة النوافذ التي يُمكن اكتشافها في هذا التُّراث الضخم هو تبويبه تبويبًا فنيًّا؛ فإنَّ هذه الروايات التفسيريَّة المأثورة عنه تتطلَّب تبويبًا يتناسب مع المهمَّة التفسيريَّة، أي النظر إلى المرويَّات المأثورة عنه بمنظار علم التفسير وتأمين الأهداف التفسيريَّة، ثمَّ إنَّ قسطًا وافرًا من الأثر القرآنيّ للإمام أمير المؤمنين عليه السلام لم يتلبَّس بلباس الروايات التفسيريَّة، ومن الواضح أنَّ استبعاد هذا القسط المعتدّ به من تراث أمير المؤمنين عن الدائرة التفسيريَّة يُؤدِّي إلى رسم صورة مجتزأة عن أثره في تفسير القرآن. والمقال الحاضر يتصدَّى للإجابة عن السؤال الآتي: ما أثر أمير المؤمنين عليه السلام التفسيريّ؟ والمنهج الذي نعتمده في الإجابة عن ذلك هو المنهج التحليليّ الاجتهاديّ المتعارف في الاتِّجاه الأُصوليّ السائد في حوزاتنا العلميَّة بما يضمُّ من مصادر الاستنباط وقواعده وضوابطه وأدوات الإثبات الوجدانيّ والتعبُّديّ، مع التركيز على كيفيَّة التعاطي الحذر والدقيق مع الدليل الروائيّ المأثور عن أمير المؤمنين، وكيفيَّة استلال المضمون القرآنيّ الكامن وراءه.

الكلمات المفتاحيَّة: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، النصّ

Abstract:

The Commander of the Faithful (peace be upon him) left us a rich scientific heritage, especially in the Qur'anic sciences, in the form of transmitted exegetical narrations. However, this heritage still requires the discovery of its features, and among the windows through which this vast heritage can be explored is its classification in an artistic manner. These transmitted exegetical narrations require classification suitable to the exegetical task, i.e., viewing the narrations attributed to him through the lens of the science of exegesis and ensuring the exegetical objectives. Furthermore, a considerable portion of the Qur'anic role of Imam the Commander of the Faithful (peace be upon him) is not expressed in the form of transmitted exegetical narrations, and it is clear that excluding this recognized portion from the exegetical domain leads to an incomplete image of his impact in Qur'anic interpretation.

The present article addresses the following question: What is the exegetical impact of the Commander of the Faithful (peace be upon him)? The methodology adopted in answering this question is the analytical and ijtihādī method common in the prevalent usūlī approach in our seminaries, encompassing sources of derivation, rules, standards, and tools of intuitive and devotional proof, with emphasis on careful and precise engagement with the transmitted narrational evidence from the Commander of the Faithful and the method of extracting the underlying Qur'anic meaning.

Keywords: Imam the Commander of the Faithful 'Ali ibn Abi Talib (peace be upon him), the Qur'anic text, exegetical role.

المقدِّمة:

بسم اللَّه الرحمن الرحيم، الحمد للهِ ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا ونبيِّنا أبي القاسم محمَّد وآله الطيِّبين الطَّاهرين، ولا سيَّما سيِّد الوصيين وإمام المتَّقين، وقائد الغرِّ المحجَّلين، علي أمير المؤمنين عليه السلام، وبعدُ

فلقد ترك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تراثًا ثرًّا مهمًّا، ومن ضمن هذا التُّراث ما يتعلَّق بالبُعد القرآنيّ، الذي يعكس مدى الأثر الذي أدَّاه عليه السلام في هذا المجال، ومسؤوليَّتنا بوصفنا باحثين تُملي علينا أن نفحص هذا التُّراث ونُقلِّبه ظهرًا لبطن لاكتشاف ما يحويه من مضامين تُساعد في تعميق تصوّراتنا حول النصِّ القرآنيّ، وما يختزنه من تعاليم دينيَّة وإنسانيَّة .

وعلى الرغم من محدوديَّة الفرصة التي تُتاح لنا في هذا المقال من ناحية المساحة، بيد أنَّه بالإمكان بيان بعض المؤشِّرات الهادية إلى علوِّ القيمة العلميَّة لهذا التراث، واللَّه المستعان، وعليه التكلان .

- الإشكاليَّة التي يتصدَّى البحث لمعالجتها:

كلُّ باحثٍ في التُّراث الإسلاميّ يعرَّف إجمالًا أنَّ للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أثرًا كبيرًا في تفسير القرآن وتبيين تعاليمه ومفاهيمه، وقد تكفَّلت الكتب التي صُنِّفت في مجال الروايات التفسيريَّة كالتفاسير الروائيَّة ونحوها بعرض الروايات المأثورة عن أمير المؤمنين عليه السلام، وربَّما قامت باستقرائها وجمعها، وثمَّة إشكاليَّتان في المقام بهما حاجة إلى بحث، وهما: الأُولى: أنَّ الروايات التفسيريَّة المأثورة عن أمير المؤمنين عليه السلام قد عُرضت على نحو واحد، وغاية ما قام به بعض الباحثين هو تصنيفها تصنيفًا موضوعيًا، كعزل الروايات العقديَّة، وكذا الروايات الفقهيَّة ونحو ذلك، أو تصنيف هذه الروايات موضوعيًّا

داخل المجال الواحد كالمجال الفقهيّ، بُوِّب بدءًا من باب العبادات ومرورًا بباب المعاملات بمعناها الأعمّ، وانتهاءً بباب الأحكام بمعناها الأخصّ، بيد أنَّ البحث التفسيريّ يتطلَّب تبويبًا يتناسب مع المهمَّة التفسيريَّة، أي النظر إلى المرويَّات المأثورة عنه عليه السلام بمنظار علم التفسير وتأمين الأهداف التفسيريَّة، ولو فُرض أنَّنا لا نقترح تبويبًا جديدًا؛ لكن على الأقلِّ يتحتَّم على الباحث في الروايات التفسيريَّة الإشارة إلى النقاط التي تتعلَّق بالحيثيَّات التفسيريَّة.

وهذا ما يُملي علينا حلّ هذه الإشكاليَّة، وهي دراسة النقاط المرتبطة بالحيثيَّات التفسيريَّة وتعيينها وإبرازها، وأمَّا الإشكاليَّة الأخرى: فهي أنَّ قسطًا وافرًا من الدَّور القرآنيّ للإمام أمير المؤمنين عليه السلام لم يتلبَّس بلباس الروايات التفسيريَّة، واستبعاد هذا القسط من تُراث أمير المؤمنين عن الدائرة التفسيريَّة يُؤدِّي إلى رسم صورةٍ مجتزأة عن دَوره القرآنيّ، وهذه الإشكاليَّة تُحتِّم على الباحث في التُّراث القرآنيّ العلويّ أن يفكَّ الحصار عن هذا التُّراث ويتحرَّك بمساحةٍ أوسع من أجل الوصول إلى تصور متكامل عن أثره القرآنيّ .

وقد توكَّلنا على اللَّه تعالى، وعقدنا العزم على حلِّ هاتينِ الإشكاليَّتينِ بحسب الوسع والطاقة، وبحسب الفرصة المتناسبة مع المقال من ناحية حجم البحث، فنحن نُحاول هنا الإجابة عن السؤال الآتي: ما أثر أمير المؤمنين عليه السلام التفسيريّ ؟

- ضرورة البحث :

إنَّ جملة وافرة من الأبحاث المستقلَّة أو الضمنيَّة التي تناولت أثر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام القرآنيّ قد اقتصرت على ما يُسمَّى بالروايات التفسيريَّة، أي الروايات التي يُصرِّح فيها بنصٍّ قرآنيٍّ سواء في أوَّلها أم خلالها، ويُذكر فيها ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام من كلام متعلِّق بالنصِّ القرآنيّ .

من هنا تبرز الحاجة الماسَّة إلى القيام بأبحاث لا تقتصر على هذه الدائرة الضيِّقة، وهي ما يُصطلح عليه بالروايات التفسيريَّة فحسب؛ بل لا بدَّ لهذه البحوث أن تتحرَّك في رحاب أوسع، ولا سيَّما بلحاظ البيانات التي أُثرت عن أمير المؤمنين عليه السلام؛ ولكن لم تُصنَّف ضمن الروايات التفسيريَّة بحسب ما تعارفوا عليه.

- منهج البحث :

إنَّ المنهج الذي نعتمده في هذا البحث هو المنهج التحليليّ الاجتهاديّ المتعارف في الاتِّجاه الأُصوليّ السائد في حوزاتنا العلميَّة، بما يضمُّ من مصادر الاستنباط وقواعده وضوابطه وأدوات الإثبات الوجدانيّ والتعبُّديّ، مع التركيز على كيفيَّة التعاطي الحذر والدقيق مع الدليل الروائيّ المأثور عن أمير المؤمنين عليه السلام وكيفية استلال المضمون القرآنيّ الكامن وراءه، وأيضًا التركيز على كيفيَّة استدلال توظيف ذلك توظيفًا ذكيًّا في العمليَّات البحثيَّة والاستدلاليَّة.

التمهيد: تعريف المفردات المهمَّة في البحث

نقتصر على تعريف المفردات الآتية:

١- الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: هو أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطَّلب بن هاشم، المنصوب للإمامة والخلافة لرسوله بأمر اللَّه تعالى، وقد بلَّغ ذلك الرسول صلى الله عليه وآله للناس في مواطن عديدة[١].

٢- النصُّ القرآنيّ: قد يُطلق لفظ (النصّ) ويُراد به المعنى الاصطلاحيّ لدى الأُصوليِّين، أي: ما يُقابل الظاهر، فالنصُّ هو اللفظ الذي يكون له معنى واحد لا غيره بحيث لا يُحتمل إرادة خلافه، وأمَّا الظاهر فهو اللفظ الذي يكون له معنى راجح مع احتمال إرادة خلافه[٢].

وقد يُطلق (النصّ) ويُراد به المعنى العامّ، أي: اللفظ في مقابل الفعل والتقرير، وهذا المعنى هو المراد لنا هنا، فحينما نستعمل لفظ (النصّ القرآني) نقصد به اللفظ القرآنيّ مطلقًا، سواء أكانت دلالته بمستوى النصِّ الصريح في المعنى أم بمستوى الظهور.

٣- التفسير لغةً: الذي استفدناه من كلمات اللغويِّين أنَّ التفسير هو: إظهار المعنى المعقول للشيء وإزالة الخفاء عنه، وله مصاديق عدَّة منها تفسير اللفظ[٣].

التفسير اصطلاحًا: عُرِّف بتعريفات عدَّة، أيسرها: أنَّه إيضاح مُراد اللَّه تعالى من كتابه العزيز[٤].

(١) ينظر: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسُّنَّة والتاريخ، الريشهري: ١/ ٥٧ وما بعدها، و ٢: ٢٣ وما بعدها.
(٢) ينظر: المعجم الأُصوليّ، صنقور: ٢/ ٢٨٤، الرقم (٤٣٠).
(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٤/ ٥٠٤، والصحاح: ٢/ ٧٨١، ومفردات ألفاظ القرآن: ٦٣٦، ولسان العرب: ٥/ ٥٥، وتاج العروس: ٧/ ٣٤٩، وأقرب الموارد: ٢/ ٩٢٥، والتفسير والمفسِّرون في ثوبه القشيب: ١/ ١٣، والتحقيق في كلمات القرآن الكريم: ٩/ ٨٦-٨٧.
(٤) ينظر: البيان في علوم القرآن: ٤٢١.

٤- المنهج لغةً: الطريق، والجمع المناهج[١]، ومنهج الطريق: وَضَحُهُ[٢]، ووَضَحُ الطريق: محجَّتُه ووسطُه[٣] .

والمنهج عُرفًا: الطريقة والنظام [٤]، وعرَّفه بعضهم بأنَّه: الخطَّة المرسومة[٥]، وعرَّفه ثالث بأنَّه: طريقة يصل بها الإنسان إلى الحقيقة[٦]، وعرَّفه رابع بأنَّه: الطريق الواضح في التعبير عن شيء أو في عمل شيء، أو في تعليم شيء طبقًا لمبادئ مُعيَّنة ونظام مُعيَّن؛ بغية الوصول إلى غاية مُعيَّنة[٧]. والمنهج في اصطلاح المناطقة قد عُرّف بتعاريف عدَّة[٨]، حاصلها: أنَّه مجموعة من القواعد العامَّة يعتمدها الباحث في تنظيم ما لديه من أفكار أو معلومات من أجل أن تُوصله الى النتيجة المطلوبة[٩].

والمنهج أيضًا خطوات مُنظَّمة يتَّخذها الباحث لمعالجة مسألة أو أكثر ويتتبَّعها للوصول إلى نتيجة [١٠]، ولعلَّ الأنسب - بحسب نظرنا - أن يُقال في تعريف المنهج بأنَّه طريقة البحث العلميّ التي تعتمد على قواعد خاصَّة وضوابط محدَّدة .

٥- المنهج التفسيريّ: في ضوء ما ذكرنا من تعريف منهج البحث بشكلٍ عامٍّ يُمكن تعريف المنهج التفسيريّ بأنَّه طريقة البحث العلميّ التي تعتمد على قواعد خاصَّة وضوابط محدِّدة، فمثلًا: لدينا التفسير الروائيّ، وتفسير القرآن بالقرآن، والتفسير الموضوعي، وهكذا .

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٥/ ٣٦١ .
(٢) ينظر: كتاب العين: ٣/ ٣٩٢، وتهذيب اللغة: ٦/ ٦٢، ولسان العرب: ٢/ ٣٨٣ .
(٣) ينظر: الصحاح: ١/ ٤١٦، معجم مقاييس اللغة: ٦/ ١١٩، ولسان العرب: ٢/ ٦٣٦ .
(٤) ينظر: أُصول البحث، عبد الهادي الفضلي: ٤٩ .
(٥) ينظر: المعجم الوسيط: ٢/ ٩٥٧ .
(٦) ينظر: المنهج الأثري في تفسير القرآن الكريم، هدى أبو طبرة: ٢٢ .
(٧) ينظر: المصدر نفسه : ٢٣ .
(٨) ينظر: أُصول البحث: ٤٩ ٥١ .
(٩) ينظر: المصدر السابق : ٥١، وينظر: أُصول البحث العلمي ومناهجه، أحمد بدر: ٣٢ .
(١٠) ينظر: المنهج الأثري في تفسير القرآن الكريم: ٢٢ .

- تبويب البحث:

وبعد المقدِّمة السالفة عقدنا هذا البحث في ثلاثة محاور، وهي: المحور الأوَّل: بيان تقسيم الأدوار التفسيريَّة المأثورة عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وتصنيفها. المحور الثاني: عرْض بعض النماذج من تلك الأقسام وأصنافها وتحليلها. ونُنبِّه إلى أنَّنا سنقتصر على بعض النماذج التي تعكس الأدوار التفسيريَّة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام سواء أكانت بحسب الفهم والقراءة المشهورة للنصَّين: القرآنيّ والروائيّ أم بحسب فهمنا وقراءتنا الخاصَّة لهما. المحور الثالث: أضواء منهجيَّة عامَّة على تلك النماذج المتقدِّمة، وإليك تفصيل ذلك:

المحور الأوَّل: بيان تقسيم الأدوار التفسيريَّة المأثورة عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وتصنيفها.

يُمكن تقسيم الأدوار التفسيريَّة المأثورة عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بتقسيمات عدَّة بلحاظات متعدِّدة، إلَّا أنَّنا نُركِّز النظر على ما يأتي:

التقسيم بلحاظ مدى وضوح النصِّ القرآنيِّ المقصود بالرواية المأثورة عنه عليه السلام أو عدم ذلك، وبهذا اللحاظ نحصل على قسمين رئيسين، هما:

القسم الأوَّل: التوظيف الجليّ للنصِّ القُرآني عند الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

وهذا النمط من التوظيف القرآنيّ في مجال المعارف الدينيَّة هو النَّمط المعروف والشائع، ومن هنا ليست بنا حاجة إلى الإطالة فيه كثيرًا؛ بل نقتصر على بيان بعض أقسامه على اختصار، وأهمّها صنفان، وهما:

الصِّنف الأوَّل: التوظيف الذي يكون في قالب التفسير وكشف المعنى

فقد اشتملت العديد من الرِّوايات المأثورة عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على بيان المراد من نصٍّ قرآنيٍّ معيَّن، ومن الواضح أنَّ هذه الروايات هي من الروايات

التفسيريَّة؛ إذ تكشف المعنى الذي غفل عنه المخاطَب بهذه الرواية وغاب عن ذهنه.

الصنف الثَّاني: التوظيف الذي يكون في قالب التطبيق للنَّصِّ القُرآنيّ

يُلاحظ في بعض الأحاديث المأثورة عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه لا يتصدَّى مباشرة لبيان معنى النصِّ القرآنيّ، والكشف عن مضمونه؛ بل يقوم بالتطبيق للنَّصِّ القرآنيّ على موارده، ولو أنعمنا النظر في هذا الصنف لرأينا أيضًا أنَّه يُمكن تقسيمه على قسمين: ما يتوقَّف عند عمليَّة التطبيق ولا يتجاوزها، وما يتجاوز عمليَّة التطبيق إلى دائرة التفسير؛ لكن لا بصورة مباشرة؛ بل بنحو غير مباشر، وعبر قاعدة الدَّلالة الإلتزاميَّة.

القسم الثَّاني: التوظيف الخفيّ للنَّصِّ القرآنيّ عند الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

وهذا النَّمط من التوظيف القرآنيّ في مجال المعارف الدينيَّة هو الذي به حاجة إلى تركيز وتحليل أكثر؛ لأنه غير متعارف بين الباحثين المسلمين، وهذا هو مركز الثُّقل في دراستنا هذه نسأل من اللَّه أن يُوفِّقنا لإنجازها، وسنقتصر على الإشارة إلى صنفين من هذا النمط، وهما:

الصِّنف الأوَّل: توظيف النصِّ القرآني مع وجود القرينة البيِّنة.

هناك كلمات صدرت عن أمير المؤمنين عليه السلام تُعبِّر عن مضمون قرآنيّ بنحو غير صريح؛ لكن مع وجود قرينة تهدي السَّامع إلى ذلك المضمون القرآنيّ.

الصِّنف الثَّاني: توظيف النصِّ القُرآنيّ مجرَّدًا عن القرينة أو مع القرينة غير البيِّنة.

إذ إنّنا نعثر أحيانًا على بعض البيانات للإمام أمير المؤمنين عليه السلام التي تخلو من التصريح أو الإشارة إلى النصّ القرآنيّ، لكن لدى التأمّل والتدقيق نلتفت إلى أنّها تستند إلى مضمون قرآنيّ سواء أكان هذا المضمون واردًا في نصّ قرآنيّ واحد أم أكثر.

المحور الأوَّل: عرْض بعض النماذج من تلك الأقسام وأصنافها وتحليلها:

نبَّهنا أنَّنا سوف نقتصر على بحث بعض النماذج لهذين القسمين، لكنَّنا نعرضُ لنماذج القسم الأوَّل بنحو الإجمال والاقتضاب بسبب وضوحه نسبيًا؛ ولكن سنُسهب أكثر بالنسبة إلى نماذج القسم الثاني، وهذه النماذج هي من قبيل ما يأتي:

الأنموذج الأوَّل:

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل يقول فيه: ((إِذْ كَانَ اللَّهُ قَدْ حَظَرَ عَلَى مَنْ مَاسَّهُ الْكُفْرُ تَقَلُّدَ مَا فَوَّضَهُ إِلَى أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ بِقَوْلِهِ لِإِبْرَاهِيمَ: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[البقرة: ١٢٤]، أَيِ: الْمُشْرِكِينَ؛ لِأَنَّهُ سَمَّى الشِّرْكَ ظُلْمًا بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان: ١٣]، فَلَمَّا عَلِمَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام أَنَّ عَهْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ بِالْإِمَامَةِ لَا يَنَالُ عَبَدَةَ الْأَصْنَامِ قَالَ: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾[إبراهيم: ٣٥]))[1].

تحليل النَّصِّ:

لقد فسَّر أمير المؤمنين عليه السلام الظلم - في قوله تعالى من سورة البقرة بالشِّرك، مستدلًّا بآيتين هما: آية سورة لقمان وآية سورة إبراهيم، فهنا قد صُرِّح في الرواية المأثورة بالنصِّ القرآني المفسَّر، وصُرِّح بالنصِّ القرآنيّ المفسِّر أيضًا .

الأنموذج الثاني:

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[البقرة: ٢٠٢] أنَّ معناه: ((أنَّه يُحاسب الخلق دفعة كما يرزقهم دفعة))[2].

(١) الاحتجاج، الطبرسيّ: ١/ ٢٥١، وتفسير نور الثقلين: ١/ ١٢١ - ١٢٢، ح ٣٤٤ .
(٢) التبيان في تفسير القرآن: ٢/ ١٧٤، وتفسير نور الثقلين: ١/ ٢٠٠، ح ٧٣١ .

تحليل النصِّ:

وقد اشتملت هذه الرواية على النصِّ القرآني المفسَّر، وهنا في تفسير آية سورة البقرة نُلاحظ أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قد ذكر معنىً دقيقًا لهذا المقطع من الآية الكريمة لا يُلتفت إليه؛ إذ المتبادر من سرعة الحساب هو المحاسبات المتوالية لكلِّ واحدٍ من النَّاس على كلِّ عملٍ عمله من دون فاصلةٍ زمنيَّة، ومن دون تراخٍ، وهذا المعنى هو الذي ذكره جملةٌ من المفسِّرين[1]، قال الشيخ الطوسيُّ: ((﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يعني: في العدل من غير حاجةٍ إلى خطٍّ ولا عقد؛ لأنَّه عالم به... والسُّرعة: هو العمل القصير المدَّة))[2]، ثمَّ نقل التَّفسير المأثور عنه عليه السلام بعنوان (رُوي).

وأمَّا أن يُراد المحاسبات الدفعيَّة فهو لا يتبادر إلى الذهن إلَّا بعد تأمُّلات طويلة، فهو سبحانه كما يرزق النَّاس؛ بل المخلوقات جميعًا في آنٍ واحد، أي: إنَّ أفعاله عزَّ وجلَّ ليست كأفعالنا، فهو عظُمت قدرته ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١].

وعليه فقيامه سبحانه بمحاسبة عباده متفاوتة كلِّيًّا عمَّا نقوم به، وكذا سائر أفعاله من رزقه للنَّاس في آنٍ واحد، وإدارته لجميع مخلوقاته في آنٍ واحد، وإحاطته بهم جميعًا في آنٍ واحد. وهذا يدلُّ أيضًا على أنَّه تعالى لا يفعل بحركة ولا آلة، وإلَّا لكان حسابه لعباده على كلِّ ذرَّة من أعمالهم يستغرق وقتًا طويلًا.

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ١/ ١٠٧، ٤٢١، وجامع البيان: ٢/ ٤١٢، و ١٣/ ٢٢٩، و ١٨/ ١٩٨، ومعاني القرآن، النحَّاس: ١/ ١٤٤، والكشَّاف: ١/ ٣٥١، والميزان في تفسير القرآن: ٢/ ٨١، والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢/ ٦٣ - ٦٤.

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ٢/ ١٧٤ .

الأنموذج الثالث:

روي ((أنَّ امرأة أتت عمر فقالت: يا أمير المؤمنين، إنِّي فجَرت فأقم عليَّ حدَّ اللَّهﷻ، فأمر برجمها، وكان أمير المؤمنينؑ حاضرًا، فقال: سلْها كيف فجرت؟ فسألها، فقالت: كنت في فلاةٍ من الأرض فأصابني عطش شديد، فرُفعت لي خيمة، فأتيتها، فأصبت فيها رجلًا أعرابيًّا، فسألته ماءً فأبى على أن يسقيني إلَّا أن أكون أُمكِّنه من نفسي، فولَّيت منه هاربة، فاشتدَّ بي العطش حتَّى غارت عيناي وذهب لساني، فلمَّا بلغ منِّي العطش أتيته فسقاني وقع عليّ، فقال عليؑ: هذه التي قال اللَّهﷻ: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[البقرة: ١٧٣]، هذه غير باغيةٍ ولا عاديةٍ، فخلَّى سبيلها. فقال عمر: لولا عليّ لهلك عمر))[1].

تحليل النصِّ:

في هذه الرواية نُلاحظ أنَّ الإمام أمير المؤمنينؑ بحسب الظَّاهر لم يُمارس التفسير بشكل مباشر؛ بل قامؑ بتطبيق الآية الكريمة في مورد تلك المرأة، وبهذا اللحاظ لا تعدُّ هذه الرواية من الروايات التفسيريَّة.

بيد أنَّنا لو تأمَّلنا بدقَّة لاكتشفنا أنَّ هذا التطبيق ليس تطبيقًا صرفًا؛ بل هو تطبيق ناتج عن فهم خاصٍّ للآية، فإنَّ هذا المقطع من الآية وارد في سياق بيان حكم الأطعمة، والتطبيق في واقعه ليس تفسيرًا، كما هو واضح، بيد أنَّ الإمام أمير المؤمنينؑ في هذا المورد بالذَّات لم يحصر معناها في موردها؛ بل أفاد منها معنى أوسع مثَّل القاعدة الفقهيَّة العامَّة التي لها قابليَّة الجريان في أكثر من باب فقهيّ، وهو أنَّ الاضطرار الخالي من البغي والعدوان رافع للحكم التكليفيّ، أي: الإثم، وكذا فإنَّه رافع للحكم الوضعيّ، أي: العقوبة الشاملة للحدِّ، وهذا مآله إلى التفسير، وعليه فبهذا اللحاظ لا تردّد في عدِّ هذه الرواية من الروايات التفسيريَّة .

(١) مَن لا يحضره الفقيه: ٤/ ٣٥ - ٣٦، ح ٥٠٢٥، وتفسير نور الثقلين: ١/ ١٥٥، ح ٥٠٥ .

الأنموذج الرابع:

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه بنى حظيرة[١] من قصب، وجعل فيها رجلًا آلى من امرأته بعد أربعة أشهر، فقال له: ((إمَّا أن ترجع إلى المناكحة، وإمَّا أن تُطلِّق، وإلّا أحرقت عليك الحظيرة))[٢].

تحليل النَّصِّ:

من الواضح أنَّ هذه الرواية تعكس تطبيق الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للنصِّ القرآنيّ عمليًا، والنصِّ القرآنيّ المطبَّق وإن لم يُصرَّح به في الرواية؛ لكنَّه كالمصرَّح به؛ إذ لا يخفى على المخاطب، وهو قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢٢٦-٢٢٧]، وهذا التطبيق للنَّصِّ القرآنيّ - كما ترى - تطبيق في الدائرة القضائيَّة؛ إذ خيَّر الإمام عليه السلام ذلك الرجل المؤلي بين الفيأة والطَّلاق. بيد أنَّ هذا التطبيق يفتقر إلى حلقة مفقودة ينبغي اكتشافها، وهي التضييق على الرجل من قِبَل الحاكم والقاضي، وهذا ما يُمكن العثور عليه في بعض النُّصوص القرآنيَّة الأُخرى، كقوله تقدَّست أسماؤه: ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾[النساء: ١٢٩]، فيدلُّ على أنَّ حالة تعليق الزوجة مرفوضة لدى الشارع، وهي تُترك متأرجحة فلا هي تتمتَّع بحقوقها الزوجيَّة - الاقتصاديَّة والجنسيَّة - ولا هي مفصولة عن زوجها بالطَّلاق، وليس من حقِّ الزوج التلاعب بحقوق غيره، فإنَّه من الواضح أنَّ الجهة القادرة على تنفيذ الحكم وإقامة العدل، وإجراء القسط بين الناس واسترجاع الحقوق هو الحاكم الشرعيّ.

---

(١) الحظيرة: من الحظر بمعنى المنع. ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٢٤٣، الموضع الذي يُحاط عليه لتأوي إليه الغنم والإبل وسائر الماشية يقيها البرد والريح ينظر: كتاب العين: ٣/ ١٩٦، والمحيط في اللغة: ٣/ ٥٩، والصحاح: ٢/ ٦٣٤، ومقاييس اللغة: ٢/ ٨١. والظاهر أنّها مختصَّة بالماشية، بل هي أعمّ لكلّ أمر يمنع الشيء، فتُستعمل لحصر السمك ومنعه من الفرار، وتُستعمل لمنع الإنسان من الفرار.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم القمّي: ١/ ٧٣ - ٧٤، وتفسير نور الثقلين: ١/ ٢١٩، ح ٨٤١.

الأنموذج الخامس:

ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: ((الشطرنج والنَّرد هما الميسر))[١].

تحليل النَّصِّ:

ففي هذه الرواية التفسيريَّة المأثورة عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لم يردْ أيّ ذكر للنَّصِّ القرآنيِّ، إلَّا أنَّ وجود القرينة الواضحة وضوحًا لا مرية فيه، ولا يقلُّ دلالة عن التصريح، على أنَّ المقصود بهذا الكلام هو تفسير لفظ (الميسر) الوارد في القرآن الكريم، وهو قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾[البقرة: ٢١٩]، وقوله عزّ من قائل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾[المائدة: ٩١].

الأنموذج السَّادس:

قوله عليه السلام في نهج البلاغة: ((فَاعِلٌ لَا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالْآلَةِ، بَصِيرٌ إِذْ لَا مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ، مُتَوَحِّدٌ إِذْ لَا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ، وَلَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ، أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً، بِلَا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا، وَلَا تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا))[٢].

تحليل النصّ:

اشتمل هذا النصُّ على عدَّة عناصر مفاهيميَّة، أهمّها:

١- سنخ الأفعال الإلهيَّة. ٢. كونه تعالى بصيرًا.

٣- توحّده جلَّ وعلا. ٤. ابتداعه للخلق.

وتفصيل هذه العناصر فيما يأتي:

(١) الكافي: ٦/ ٤٣٥، ح ٣، وتفسير نور الثقلين: ١/ ٢١٠، ح ٧٩٣.
(٢) نهج البلاغة: ١/ ٨، الخطبة رقم (١).

تحليل المقطع الأوَّل المتعلِّق ببيان سنخ الأفعال الإلهيَّة:

النصُّ العلويّ: ((فَاعِلٌ لَا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالْآلَةِ))

إنَّ الذَّات الإلهيَّة المقدَّسة على الرغم من كونها منزِّهة عن التغيير؛ لكن منها تصدر الأفعال في هذا الكون، فهو فاعل، وفاعليَّته تتجلَّى في كونه خالق العالَم، وفي كونه مدبِّرًا له، فهو تعالى يخلق ويرزق ويُميت ويُحيي ويُدبِّر ويمنع ويُوفِّق ويُقدِّم ويُؤخِّر، وهو يفعل ما تقتضيه حكمته، إلَّا أنَّ أفعاله تختلف عن أفعال مخلوقاته؛ فإنَّ المخلوق عندما يفعل فعلًا ما إنَّما يكون بحركة يُحدثها في أجزائه، فيبسط يده لتأخذ شيئًا، ويمدُّ رجله ليقترب من شيء، وينحني ويقوم ويقعد ويمشي ويُسرع ويقفز ويضرب ويدفع ويسحب ويتحرَّك يمينًا وشمالًا إلى غير ذلك من أنواع الحركات، فإن لم تصدر من المخلوق حركة خارجيَّة لا يصدر منه أيّ فعل من الأفعال .

ثمَّ إنَّه يستعين بالوسائل كالمحراث في زراعة النباتات، ووسائل الحياكة لحياكة البساط، والإبرة لخياطة الثياب، والفأس للاحتطاب، والسَّهم للصيد، والطين للبناء، فنحن مضطرُّون إلى الاستعانة بالآلات لتحقيق أغراضنا وتأمين حوائجنا؛ إذ لا سبيل أمامنا سوى الاستعانة بالوسائل المتاحة لنا، مضافًا إلى أنَّ هذه الأعضاء والوسائل أحيانًا قد تخرج عن سيطرتنا ولا نستطيع التحكُّم بها .

والمتعارف في الإنسان أن يقيس الشيء بالشيء، فقد يتوهَّم أنَّ صدور الفعل الإلهيّ يشبه صدوره منَّا من هذه النواحي، وهذه المقايسة بين الأفعال الإلهيَّة وأفعال المخلوق، كما راودت العقول الساذجة خيَّمت على أذهان الحكماء والفلاسفة، فلم يقدروا على حلِّ هذا اللغز.

السؤال المُثار: هل اللَّه تعالى يفعل أفعاله بتحريك الجوارح أو الاستعانة بالأدوات؟

الإجابة العلويَّة: إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام يُبيِّن لنا في هذا النصِّ أنَّ اللَّه تبارك وتعالى لا يُقاس بمخلوقاته، ولا يُشبَّه بهم، فإنَّه لا يفعل الأفعال التي يُريدها بحركات تطرأ على ذاته المقدَّسة كما هو الحال فيما نفعله، فهو خالق الحركات وموجدها، وهو إمَّا أن يتوصَّل إلى ما يبغي مباشرة ومن دون آلة، وإمَّا بتوسُّط آلة مخلوقة له مباشرة من دون توسُّط آلة كما تقتضي حكمته أحيانًا ذلك، فتعود كلّها إلى كونها مخلوقة له مباشرة من دون توسُّط آلة، لا كما نفتقر نحن إلى إجراء حركة والاستعانة بآلة من صنع غيرنا؛ إذ لا يُمكننا صنع شيء في الفراغ أو من دون القيام ببعض الحركات؛ لكنَّه تبارك وتعالى غنيّ عن كلِّ شيء، ولا يخرج عن سيطرته شيء، فإنَّ قدرته فوق كلِّ قدرة .

النَّصُّ القرآنيُّ الكامن وراء النَّصِّ العلويّ:

١- قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١] .

٢- قال عزَّ اسمه: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ٤] .

٣- قال سبحانه حاكيًا عن الرجل الذي قال: ﴿أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[البقرة: ٢٥٩] وحكى ما جرى له من إماتته، ثمَّ إحيائه مرَّةً أُخرى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة: ٢٥٩].

٤- قال جلَّت قدرته مخاطبًا خليله إبراهيم عليه السلام بعد أن أراه كيف يُحيي الموتى: ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[البقرة: ٢٦٠] .

إنَّ النصَّ القرآنيّ الأوَّل يدلُّ على عدم صحَّة التشبيه بين الخالق ومخلوقاته، من جميع الوجوه؛ لإطلاق النصِّ، إذ إنَّ التشبيه من وجه قد يصحُّ أحيانًا بين شيئين مخلوقين متباينين كتشبيه وجه المرأة الحسناء بوجه القمر من جهة الجمال، لكنَّ

التشبيه بين الخالق والمخلوق لا يصحُّ مطلقًا ولو من وجه واحد، بما في ذلك تشبيه أفعاله سبحانه بأفعالنا، فأفعالنا إنَّما تتحقَّق بتحريك الجوارح والأعضاء الباطنة أو الظاهرة، وكذا فإنَّها تتوقَّف أحيانًا على الاستعانة بأداة وآلة، وأمَّا أفعاله جلَّ ثناؤه فلا تتمُّ من طريق تحريك جارحة، ولا تتوقَّف على الاستعانة بأيَّة وسيلة مهما كانت كبيرة أو صغيرة . وأمَّا النصُّ القرآنيّ الثاني فهو يُثبت أنَّ اللَّه تعالى لا مثيل له ولا نظير، ونفي المثل له والنظير مطلق، فلا يُقاس به أحد، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ولا في كلِّ شؤونه .

وأمَّا النصَّان الثالث والرابع – ونحوهما من النصوص الغفيرة – فيدلَّان على أنَّ اللَّه سبحانه لا يحتاج في فعل شيء حتَّى لو كان معقَّدًا لا إلى حركة ولا إلى وسيلة، كما في الإماتة والإحياء ثانية .

تحليل المقطع الثَّاني المتعلِّق ببيان أنَّه تعالى (بصيرًا) :

النصُّ العلويّ: ((بَصِيرٌ إِذْ لَا مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ))

إنَّ من جملة قدرات بعض مخلوقات اللَّه كونها تبصر وترى ما حولها، فالبصر طريق لإدراك الإنسان والحيوان لما يُحيط به، فالأعمى؛ إذ إنَّه يفقد قابليَّته على الرؤية يفوته إدراك كثير من الأشياء، وآلة البصر العين وما تحتويه من أجزاء وتراكيب معقَّدة، وما تتَّصل من أجهزة عصبيَّة لنقل الصور إلى الدماغ الذي يُدرك الصور، فلو وقع خلل في جزء من هذه المنظومة البصريَّة لاختلَّت الرؤية أو انعدمت، فهناك من يكون حادّ البصر، وهناك من هو ضعيف البصر، وهناك من لا يُميِّز الألوان، وهناك من لا يرى الأجسام البعيدة، وهناك من لا يتمكَّن من رؤية الأجسام القريبة، وهكذا .

فضلًا على أنَّ الرؤية محدودة من حيث الفاصلة المكانيَّة والزمانيَّة، ومن حيث

الجهة، ومن حيث حجم المنظور إليه، فلو بعدت الأشياء كثيرًا فلا نراها، وإن قربت جدًّا فلا نُميِّزها، وإن كانت سابقًا أو توجد مستقبلًا لاستحالت رؤيتها، وإن صارت خلفنا لغابت عنَّا، وإن صغر حجمها فيتعذَّر علينا رؤيتها.

والعين أيضًا إنَّما تُدرك الصور الخارجيَّة من طريق الضوء، فلو عُدم الضوء خارجًا تنعدم الرؤية حينئذٍ، ولما افترق الأعمى عن البصير. وكذلك البصير، هو قادر على رؤية الأشياء التي تكون خارجًا، فلو فرض أن لا شيء أمامه فلا فضاء ولا أشياء، إذن لاستوى حاله مع حال الأعمى. هذا هو حال البصير من مخلوقات اللَّه.

السؤال المُثار: يا تُرى ما حال بصر الخالق نفسه ورؤيته؟ فهل بصره ورؤيته جلَّ وعلا كبصرنا ورؤيتنا؟!

الإجابة العَلَويَّة:

يُجيب أمير المؤمنين عليه السلام على هذا السُّؤال أنَّ بصره سبحانه متفاوت مع بصر المخلوق؛ فإنَّ بصره لا يتوقَّف على وجود شيء من الأشياء في الخارج، سواء أكان نورًا أم جسمًا؛ لأنَّ بصره تعالى لا يكون من طريق جارحة العين التي لا ترى إلَّا ما كان أمامها كما هو حال حواسّنا، وهذه الحيثية في وصف الخالق جلَّت قدرته التي وردت في كلام أمير المؤمنين عليه السلام لا يُلتفت إليها عادة من قِبَل سائر النَّاس، فإنَّه عليه السلام قد سبق زمانه ببيانها.

وأفاد ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه أنَّ صفتَي البصير والسميع هما ثابتتان له تعالى منذ الأزل، وليس هناك مسموع ومبصَر، ومعنى ذلك: كونه بحالٍ يصحُّ منه إدراك المبصَرات والمسموعات إذا وجدت؛ وذلك يرجع إلى كونه حيًّا لا آفة به[1].

وما يرجِّح في الذهن أنَّ صفتَي البصير والسميع إذا أُضيفتا لله سبحانه لا ينحصر معناهما بالقابليَّة على إبصاره المبصَرات والمسموعات فيما لو وجدت فقط؛ بل

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١/ ٧٩ - ٨٠.

معناهما أشمل من ذلك، فإنَّه جلَّ وعلا يرى المبصَرات ويسمع المسموعات قبل أن تُوجد، أي: كونه عالمًا ومُدرِكًا لها قبل خلقها وعالمًا بها حتَّى بعد فنائها. كلمة (إِذْ) ظرف، وما يرجِّح في نظري أنَّ جملة (لَا مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ) هنا حالية.

النَّصُّ القرآنيّ الكامن وراء النَّصِّ العلويّ:

١- قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١].

٢- قال عزّ اسمه: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوا أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ٤].

٣- وقال عزّ اسمه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[فاطر: ١٥].

إنَّ النصَّ القرآنيّ الأوَّل بعد أن نفى التشبيه بين الخالق ومخلوقاته بيَّن أنَّ الحقَّ تعالى شأنه هو سميع بصير، ففي عين اختلافه عن خلقه هو سميع بصير، ومآل هذا إلى أنَّ سمعه وبصره يختلفان عن سمعنا وبصرنا، لا أنّه يسمع بأُذن خاصَّة ويُبصر بعين خاصَّة؛ بل هو يُدرك الأصوات ويُدرك الصور، فإنَّ الأُذن جارحة وجرم والعين كذلك جارحة وجرم، ولازم ذلك الجسميَّة والمحدوديَّة، وهذا تشبيه له بخلقه.

وأمَّا النصَّ القرآنيّ الثاني فهو ينفي وجود مثيل له قطّ، ولا داعي لحصر نفي المثل له في خصوص الذات، أي: لا مثل له في ذاته فحسب؛ وذلك لإطلاق النصّ، ومقتضى الإطلاق نفي المثل عنه مطلقًا ذاتًا وصفاتًا وأفعالًا، بما في ذلك سمعه وبصره، فهما لا يشبهانهما سمع ولا بصر شيء من المخلوقين.

وأمَّا النصَّ القرآنيّ الثالث فهو يدلُّ على أنَّ غنى الربّ عزّ وجلّ، والغنى يُنافي الحاجة بشتَّى أشكالها ومصاديقها، وليس المراد الغنى عن الناس؛ بل الغنى عن أيّ شيء، بما في ذلك أنَّ علمه بالمبصرات والمسموعات لا تتوقَّف على جارحة ولا

على وجود ضوء ولا هواء، ولا على وجود شيء مسموع أو شيء مرئيّ، فهل عالم قبل وحين وبعد وجود المسموعات والمبصرات .

تحليل المقطع الثَّالث المتعلِّق ببيان توحّده جلَّ وعلا:

النصُّ العلويّ: ((مُتَوَحِّدٌ إِذْ لَا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ، وَلَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ)) .

أوَّلًا: إنَّ الإنسان اجتماعيّ بطبعه، يتعذَّر عليه العيش بمفرده، ومن هنا لم يقنع آدمعليه السلام بما أعطاه اللَّه من نعيم في بيئةٍ لا يمسّه فيها حرّ ولا برد، ولا يُصيبه جوع ولا عطش، ومع ذلك كلّه كان يحسُّ بضرورة وجود مَن يُؤنسه، فخلق اللَّه تعالى له زوجًا ليأنس به، فإنَّ تأمين الحاجات النفسيَّة كوجود المؤنس لا يقلُّ عن تأمين الحاجات المادِّية من الطعام والشراب واللباس والجوّ المعتدل والظروف المناسبة، فلا سعادة ولا هناء بتأمين الحاجات المادِّية فقط .

ثانيًا: أنَّ الأُنس قد يتحقَّق للنفس من طريق التعلُّق بشيء من الأشياء كالمسبحة التي يعتاد الإنسان عليها، أو قد يتحقَّق بعادة أو عمل تعتاد عليه النفس .

ثالثًا: أنَّه بسبب وجود الحاجة النفسيَّة إلى المؤنس التي هي حاجة فطريَّة، فلو أنست النفس بأحد فيعتاد على ذلك، فتراه يحزن لو فقد الأنيس الذي كان يُؤنسه بسبب موت أو ابتعاد أو مشاجرة أو لغير ذلك من الأسباب والحوادث، ويشعر بالوحشة بسبب حينئذٍ، كما يحزن لو فقد أمرًا مادِّيًا أو لو حيل بينه وبين ما اعتاد عليه، وربَّما أكثر بكثير.

السُّؤال المُثار: هل الخالق تعالى كذلك يحتاج إلى أنيس يُؤنسه، ويحزن لفقده؟

الإجابة العلويَّة: إنَّ أمير المؤمنينعليه السلام يُجيب على هذا السُّؤال بما يأتي:

أوَّلًا: إنَّ كمال الذات الإلهيَّة يقتضي غناه عن غيره وعدم حاجته لأيِّ أحدٍ بأيِّ مستوى كانت تلك الحاجة، ولو بمستوى تحقُّق الأُنس النفسيّ، والحاجة

عين الفقر وعدم الغنى، والفقر نقص يتنافى مع الكمال، فالحقُّ جلَّ وعلا لا يحتاج إلى إيناس أيّ مخلوق ولدًا كان أم أبًا أو صاحبًا أو صاحبة أو غير ذلك.

ثانيًا: لا فرق في غنى اللَّه تعالى عن إنسان أو عادة أو حالة أو أيّ شيء من الأشياء؛ لأنَّ المحذور المترتِّب على ذلك واحد.

ثالثًا: إنَّ اللَّه جلَّت عظمته؛ إذ لا يحتاج إلى الأنيس من الأساس، فلا يستوحش لفقد أحد، فانتفاء الاستيحاش حال فقد شخصٍ أو شيء عن ساحة الحقِّ جلَّ وعلا من باب انتفاء السالبة بانتفاء موضوعها.

رابعًا: أنَّه لا يحتاج إلى أنيس قطّ، فهو موجود منذ الأزل قبل هذا العالَم الحادث.

خامسًا: ((«إِذْ» ظرف، ومعنى الكلام: أنَّ العادة والعُرف إطلاق «متوحِّد» على مَن كان له مَن يستأنس بقربه ويستوحش ببُعده فانفرد عنه، والبارئ سبحانه يطلق عليه أنَّه متوحِّد في الأزل ولا موجود سواه، وإذا صدق سلب الموجودات كلّها في الأزل صدق سلب ما يُنس أو يُوحش، فتوحَّده سبحانه بخلاف توحّد غيره))[1].

سادسًا: إنَّ قوله عليه السلام (وَلَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ) إن كان اعتبرناه معطوفًا على خبر (سَكَنَ) - وهو (يَسْتَأْنِسُ بِهِ) - فلا يحتاج حينئذٍ إلى (لَا)، وحقّ الكلام أن يُقال: (لا سكن يستأنس به ويستوحش لفقده)، فإذن إمَّا أن تكون (لَا) الثانية لتأكيد النفي السابق، أي يكون المعنى: (ولا سكن يستوحش لفقده)، أو تكون (لَا) زائدة، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾[الأعراف: ١٢]؛ فإنَّ (أَلَّا) كلمتان مدغمتان (أن) مع (لا)، أي: أن لا تسجد[2].

وما يرجِّح في نظري أنَّ جملة (لَا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ، وَلَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ) هنا حالية، كالعبارة التي سبقت.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١/ ٨٠.
(٢) ينظر: بحار الأنوار: ٤/ ٢٥٢.

فيما احتمله العلامة المجلسيّ في البحار احتمالًا، قال: ((ويُحتمل كون الجملة حالية))[1] .

النَّصُّ القرآنيّ الكامن وراء النَّصِّ العلويّ:

١- قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[الأنعام: ١٠١].

٢- وقال عزَّ اسمه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ١-٤] .

إنَّ النصَّ القرآنيَّ الأوَّل ينفي عن اللَّه سبحانه الولد وينفي عنه اتِّخاذ الزوج، ولهذا الانتفاء أكثر من وجه، فإنْ كان اتِّخاذ الولد أو الصاحبة للحاجة إليهما؛ ليكونا أنيسين، فهو تعالى غنيٌّ منزَّه عن كلِّ حاجة؛ لأنَّها فقر وضعف ونقص، وإنْ كان اتِّخاذ الولد أو الصاحبة من جهة أنَّ ذلك شأن الإنسان ليبقى الولد بعد موت أبيه فهو سبحانه ليس كالإنسان الذي هو جسم مخلوق له ونتهي بالموت. وحينئذٍ لا تعرض عليه تعالى حالة الاستيحاش - التي هي ضدّ الأُنس - لفقد الأنيس؛ فإنَّ ذلك من باب السالبة بانتفاء الموضوع .

أمَّا النصُّ الثاني فيُثبت أحديَّة اللَّه وتوحّده وتفرُّده في الذَّات والصِّفات والأفعال؛ للإطلاق، وهو الذي هو وجود مطلق لا عدم فيه ولا فراغ ولا جوف ولا أيّ نقص مطلقًا، ومن هنا فهو ليس مولودًا؛ لأنَّ ذلك نقص لاستلزامه أنَّه لم يكن موجودًا قبل ولادته ولاستلزامه الاحتياج إلى والده في وجوده ونشوئه حتَّى يكمل، وهو الذي لا حاجة له به إلى الولد مطلقًا، وأنَّه لا شبيه له مطلقًا لا في الذَّات ولا في الصِّفات ولا في الأفعال، ولا في أيِّ شأن من شؤونه جلَّ وعلا، فلا حاجة به إلى الأنيس، ولا تعرض عليه حالة الاستيحاش مطلقًا .

(١) بحار الأنوار: ٤/ ٢٥٢ .

تحليل المقطع الرابع المتعلِّق ببيان ابتداعه تعالى للخلق:

النصُّ العلويّ: ((أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً، وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً، بِلَا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا، وَلَا تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا)) .

أوَّلًا: إنَّ الإنسان إذا أراد أن يصنع فإنَّما يقوم بصنعه من مادَّة موجودة، فمَن يصنع سريرًا خشبيًّا يقوم بصناعته من الخشب الموجود في الطبيعة كالأشجار والغابات، ومَن أراد أن يعمل كوزًا فهو يعمله من الطين المتكوِّن من الماء والتُّراب المتوفِّرين في الطبيعة .

ثانيًا: إنَّ الإنسان حينما يصنع شيئًا إنَّما يُحاكي به أنموذجًا موجودًا في الطبيعة بشكلٍ أوْ بآخر، فمن يصنع السفينة يُحاكي بها حيوانات البحر كالأسماك، ومن يصنع طائرة يُحاكي بها حيوانات الجوّ كالطيور، أوْ يُلفِّق بين أكثر من أنموذج طبيعيّ، وإن كانت هذه المحاكاة من وجه، ولا تتطابق مع الطبيعة انطباقًا تامًّا من الوجوه كافَّة، فحتَّى لو تفاوت مصنوع الإنسان عن الموجودات المخلوقة لله جلَّ وعلا وامتاز ببعض الامتيازات، بيد أنَّ أصل الفكرة مأخوذة من الطبيعة، كفكرة صنع الطائرة، فإنَّها مأخوذة من الظاهرة الكونيَّة المتعارفة، وهي طيران الطيور والحشرات وغيرها من المخلوقات في الجوِّ.

ثالثًا: إنَّ الإنسان حينما يُريد صنع شيء يُفكِّر ويتأمَّل قبل الإقدام على صنع شيء ويحسب لكلِّ قضيَّة حسابًا، ففي بعض الأحيان يطول هذا التأمُّل، وأحيانًا يكون في مدَّة قصيرة، وثالثة قد يشترك أفراد عدَّة في عمليَّة التأمُّل قبل مباشرة الصنع.

ثمَّ إنَّ عمليَّة الصنع ليست على نحو واحد، فربَّما يكون الشيء المراد صنعه أمرًا بسيطًا، وأُخرى يكون مركَّبًا، وأنَّه تارة تتمُّ عمليَّة الصنع بصورة دفعيَّة، وأُخرى تتمُّ بصورة تدريجيَّة وتحتاج إلى مراحل متعدِّدة، فيتمّ أوَّلًا إعداد المقدِّمات أو

صنع الأجزاء، بعدها يُباشر في عمليَّة صنع الشيء المطلوب .

فيختلف حال الإنسان فبالنسبة إلى صنع الأُمور المركَّبة والتدريجيَّة يحتاج إلى تأمّل أكثر من التأمُّل الذي يحتاج إليه في صنع الأُمور البسيطة والدفعيَّة .

رابعًا: إنَّ الإنسان بلحاظ عقلانيَّته وحكمته عادة يُفيد من التجارب التي مرَّت به أو بغيره؛ بل قد يُجري تجارب عدَّة ربَّما تفشل بعض تجاربه وربَّما يُحالفه النجاح بعد حين، وأنَّه كذلك ربَّما يُفيد من تجارب الآخرين، حتَّى إنَّه قد يستفيد من تجارب الماضين أفرادًا كانوا أم أُممًا.

السُّؤال المُثار: هل خلْقُ اللَّه تعالى لمخلوقاته أيضًا كان بهذا النحو أوْ لا؟

الإجابة العلويَّة: ما نفيده من النصِّ أعلاه هو: أنَّ بينهما تفاوتًا كبيرًا؛ وذلك:

أوَّلًا: إنَّ اللَّه جلَّت قدرته خلق أصل مادَّة الكون من العدم، لا من شيء كان موجودًا قبلها، وهذا الأمر منحصر باللَّه تعالى، لا يُشاركه في ذلك أحد، فلم تكن هناك مادَّة؛ بل اللَّه هو الحالق للمادَّة ولسائر الموجودات من لاشيء كان قبلها، لا أنَّ موادَّ المخلوقات كانت موجودة، وأنَّ دَوره تعالى في الخلق دَور التأليف والتركيب للموادِّ الأوليَّة، وإنتاج موجود من بينها بصورة جديدة .

ثانيًا: وإنَّه جلَّ شأنه خلق الموجودات في صور خاصَّة، فللطيور هيئات معيَّنة، وللنباتات هيئات معيَّنة، وللإنسان هيأة معيَّنة، وهذه الهيئات هي إبداع منه جلَّ شأنه، لا أنَّه حاكى بها صورًا كانت قبلها، فكما أنَّه ابتدع موادّ المخلوقات من عدم ابتدع صورها وهيئاتها أيضًا من عدم .

ثالثا: إنَّه تعالى مضافًا إلى أنَّه قد ابتدع هذه المخلوقات من العدم مادَّةً وهيأةً، قد ابتدع السنن والأنظمة التي تسير على وفقها تلك المخلوقات، ومن ثَمَّ ابتدع نمط غدارتها وتدبيرها بعد خلقها.

رابعًا: إنَّه تعالى لا يختلف عليه الحال سواء أكان المخلوق بسيطًا أم مركَّبًا أم دفعيًّا أم تدريجيًّا، ففي جميع الأحوال لا يحتاج إلى تأمُّل لا كثير ولا قليل، والـ (رَوِيَّةٍ) : الفكرة [١]، و(أَجَالَهَا): ردّدها[٢]، وفي نقل: (أَحالَها)، أي: صرفها[٣].

وهو سبحانه لا يستشير أحدًا في صنعه، ولا يستعين بفكر أحد ولا بخبرة أحد ولا تجربة أحد.

خامسًا: إنَّه عز وجل لا يحتاج إلى تجربة لصنع شيء، بالنظر إلى أنَّ منشأ الحاجة إلى التجربة فيه احتمالات عدَّة:

الاحتمال الأوَّل: إنَّه لا يقين له بنتيجة فعله ويكون عنده حالة تردّد؟ والتردّد بسبب الجهل، وإلَّا لو كان عنده يقين بتحقُّق ما يُريد لما تردّد، ومن ثَمَّ لما جرَّب، كمن يُكثر التجارب لمعرفة العلَّة لظاهرة من الظواهر أو لمعرفة مدى تأثير الدواء في علاج بعض الأمراض .

الاحتمال الثاني: إنَّه لا يقين عنده بقدرته فيُكرِّر التجربة لعلَّه يُحالفه الحظّ في مرَّة من المرَّات فيقدر على تحقيق ما يصبو إليه .

الاحتمال الثالث: إنَّه يستفيد من التجربة لكي يمتلك المهارة التامَّة في الفعل.

الاحتمال الرابع: إنَّه يُقدم على التجربة أو قد يُكرّرها لمعرفة التفاصيل، وإن كان لا تردّد عنده في تحقُّق أصل الشيء كما لا تردّد لديه في قدرته على صنعه .

الاحتمال الخامس: أن تكون التجربة بدافع تحصيل الاطمئنان والتأكُّد أكثر من تحقيق النتيجة بسبب الهواجس النفسيَّة .

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١/ ٨٠ .
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٨٠ .
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٨٠ .

وجميع هذه الاحتمالات المذكورة - ونحوها من الاحتمالات العقلائيَّة - منتفية بشأنه جلَّ وعلا، فلا تردّد عنده ولا جهل سبحانه، ولا شكَّ في قدرته جلَّ شأنه، ولم يكن قد خلق من قبل مخلوقات فحصلت له التجربة التي أعانته على خلق هذه المخلوقات[١] وازدادت بذلك مهارته وخبرته في الخلق، ولا جهل عنده لا في أصل تحقُّق الشيء الذي يُريد صنعه ولا في تفاصيله، ولا هواجس تتطلَّب الدفع والرفع تعالى اللَّه عن كلِّ ذلك علوًّا كبيرًا .

سادسًا: إنَّ قوله عليه السلام: (أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً، وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً...) يدلُّ على حدوث العالَم، والإنشاء: الخلق، والفرق بينه وبين الابتداء أنَّ الإنشاء كالخلق أعمّ من الابتداء، قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾[الرحمن: ١٤]، والابتداء: الخلق من غير سبق مادَّة ومثال[٢]، ومنه يتَّضح أنَّ الجملة الثانية تُفيد معنى غير معنى الجملة الأُولى، وليست تأكيدًا لها. هذا، وقد احتمل العلامة المجلسيّ كونها تأكيدًا للأُولى[٣] .

وأفاد ابن أبي الحديد المعتزليّ أنَّ الابتداء هو: الاختراع، والحكماء يقولون: إبداع، فهو جلَّ وعلا لا يُوجِد شيئًا من شيء[٤] .

ثمَّ ادَّعى ابن أبي الحديد أيضًا أنَّ بين العبارتين في قوله عليه السلام: (أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً، وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً...) ترادفًا على طريقة الفصحاء والبلغاء، كقوله سبحانه: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾[فاطر: ٣٥][٥]، وقد عرفتَ أنَّ بين الإنشاء وبين الابتداء فرقًا. إذن، فاللَّه عزَّ وجلَّ متوحِّد ومتفرِّد بهذه الصفة، وهو أنَّه يُوجِد الشيء من لا شيء كان قبله، ومن دون ضمّ شيء إليه كالآلة .

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١/ ٨٠ .
(٢) ينظر: بحار الأنوار: ٥٤/ ١٧٩ - ١٨٠ .
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٥٤/ ١٨٠ .
(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١/ ٧٩ .
(٥) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٨٠ .

النصُّ القرآنيّ الكامن وراء النصِّ العلويّ:

١- قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[البقرة: ١١٧].

٢- قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[النحل: ٤٠].

٣- قال تباركت أسماؤه: ﴿إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[مريم: ٣٥].

النصُّ القرآنيّ الأوَّل يدلُّ على أنَّ اللَّه ابتكر خلق السماوات والأرض، والمراد بما فيهنَّ من مخلوقات، أي: ابتكر خلق الكون كلّه مادَّة وصورة، لا على مثال كان، وعمليَّة الخلقّ تمَّت طبقًا لهذه القاعدة ﴿إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[آل عمران: ٤٧]، مهما كان ذلك الأمر كبيرًا أو صغيرًا، فأمره حتميُّ التحقُّق، فلا حاجة منه إلى تروٍّ ولا تأمُّل ولا إفادة من تجربة.

وليس المراد من التعبير بالقول في قوله (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ) صدور لفظ (كُنْ) بما هو مجموعة حروف منه تعالى للشيء المقدَّر كينونته؛ بل المراد أنَّه إذا قدَّر أمرًا واقتضت إرادته وجوده فإنَّه يتحقَّق بمجرَّد تصدِّيه لإيجاده، فلا يحول دون إرادته شيء، ولا يُعجزه شيء.

والنصَّان القرآنيَّان الثاني والثالث يدلَّان على هذه القاعدة التكوينيَّة والسنَّة الإلهيَّة الجارية في خلقه للأشياء والأحداث، وقد وردت هذه القاعدة بصورة مطلقة، بمعنى أنَّها تكون شاملة لجميع ما يحدث في العالَم حتَّى المعاجز والكرامات والأُمور غير المعتادة.

المحور الثاني: إضاءات منهجيَّة عامَّة على تلك النماذج المتقدِّمة:

على الرَّغم ممَّا قمنا به من دراسة وتحليل لنماذج من النصوص المأثورة التي تعكس الأدوار التفسيريَّة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام لكلِّ نصٍّ على حدة، بقيت لدينا بعض الإضاءات المنهجيَّة العامَّة الحَريَّة بالالتفات والعناية، منها ما يأتي:

الإضاءة الأُولى: لقد مرَّ عليك أنَّ بعض الروايات التفسيريَّة المأثورة عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ترتبط بأكثر من نصٍّ قرآنيٍّ واحد، سواء أكان هذا الارتباط ارتباطًا واضحًا وجليًّا – صريحًا أو ظاهرًا – أم كان الارتباط خفيًّا ومستبطنًا يحتاج إلى اكتشاف واستنباط، والنمط الثاني هو الذي يتطلَّب من الباحث جهدًا علميًّا وتحليلًا دقيقًا، وينبغي أن تُسلِّط عليه الأضواء الكاشفة التي تُجلِّي لنا الدَّور القرآنيّ الكبير للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وبيان الحيثيات المتعدِّدة للنصِّ المأثور .

إذن، فنحن نُواجه نحوين من الروايات المأثورة في تراث أمير المؤمنين عليه السلام في المجال القرآنيّ، وهما:

النحو الأوَّل: النَّصُّ بسيط الدَّلالة، أُحاديّ الحيثيَّة .

النحو الثَّاني: النصُّ مركَّب الدَّلالة، متعدِّد الحيثيَّة .

ويجدر بالباحث في مجال التُّراث التفسيريّ الفرز بين هذين النحوين، والتعاطي مع كلٍّ منهما بما يُناسبه، ولاسيَّما النحو الثاني الذي يقتضي دقَّة أكبر وتأمُّل أكثر، وعدم المرور عليه مرور الكرام؛ بل لا بدَّ من إعطاء البحث استحقاقته .

الإضاءة الثانية: إنَّ طائفة من النماذج التي تقدَّم بحثها يكشف عمَّا سمّاه بعض المفسِّرين المعاصرين بـ (منهج تفسير القرآن بالقرآن)[1]؛ فإنَّنا نرى أنَّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حاول توظيف بعض النصوص القرآنيَّة؛ لتعيين معنى نصٍّ قرآنيٍّ.

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١/ ١١ – ١٢ .

وهذا ما رأيناه بوضوح في الأنموذج الثاني؛ إذ عمد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى تفسير مفهوم (الظُّلم) الوارد في قوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ إلى التمسُّك بدلالة نصوص قرآنيَّة أُخرى، أي: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، وقوله سبحانه - حكاية عن دعاء نبيِّه إِبْرَاهِيمُ الخليل عليه السلام - ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾، وانتهى عليه السلام إلى استنتاج أنَّ الظلم ورد في الآية - محلّ البحث - بمعنى الشرك .

الإضاءة الثالثة: إنَّ بعض النماذج التي دُرست يُمكن الحكم عليها أنَّها تتضمَّن اعتماد (منهج التفسير الموضوعيّ) ولو بصورة مصغَّرة؛ وذلك لأنَّ بعض النصوص المأثورة عنه عليه السلام ناظرة إلى أكثر من نصٍّ قرآنيّ، والحاصل من مجموع هذه النصوص القرآنيَّة التي هي مدُّ النَّظر تتشكَّل الأُطروحة المفاهيميَّة التي يُبرزها عليه السلام ضمن النصِّ الروائيّ المأثور عنه .

وتتجلَّى أهميَّة العناية بهذه الزاوية البحثيَّة لدى مراجعة دعاة التفسير الموضوعيّ، وفي مقدِّمتهم الشهيد محمَّد باقر الصدر[1] إلَّا أنَّهم لم يدعموا منهجم بنماذج معتدٍّ بها من السُّنَّة الشريفة لتثبيت منهجهم المدَّعى، واكتفوا بطرح منهجهم المقترح، في الوقت الذي نرى خيوط هذا المنهج في السنَّة الشريفة هنا وهناك، ومنها التراث المأثور عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، من قبيل ما عرضناه في الأنموذج الرابع الوارد في تطبيق حكم الإيلاء قضائيًا؛ فقد لوحظت نصوص عدَّة لتعيين الموقف تُجاه كيفيَّة التعاطي قضائيًّا مع ذلك الرجل المؤلي المجحف بحقِّ زوجته، فقد عمد الإمام عليه السلام إلى لحاظ آيتي الإيلاء من جهة، أي: قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢٢٦-٢٢٧]، وفي الوقت نفسه لحاظ نصوص قرآنيَّة أُخرى، كقوله

(١) ينظر: المدرسة القرآنية: ١٣/ ٣١٣٠ .

تقدَّست أسماؤه: ﴿فَلاَ تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾[النساء:١٢٩]، ثمَّ انتهى عليه السلام إلى تحديد الموقف القضائيّ في حالات الإيلاء المتأزِّمة، هذا مضافًا إلى لحاظ الآيات الآمرة بإقامة العدل والقسط في المجتمع.

وهذا أمر في غاية الأهميَّة لدى المفسِّر - والمستنبط أيضًا - وهو التوفُّر على الرؤية الشموليَّة للنصوص القرآنيَّة، وعدم الاكتفاء بالرؤية التجزيئيَّة الموضعيَّة؛ بل لابدَّ من تحلِّي المفسِّر - وكذا المستنبط - بالجولان الذِّهني الواسع ليُمارس السياحة في بحر النصوص الغفيرة، وهذا لا يُعبِّر عن محض توصية؛ بل هذه ضرورة بحثيَّة ما لنا عنها من محيص.

ومن نافلة القول: إنّه يحسن الإلتفات إلى أنَّ منهج تفسير القرآن بالقرآن بحسب العلامة الطباطبائيّ قدس سره، ومنهج التفسير الموضوعيِّ بحسب الشهيد الصدر قدس سره، هما منهجان متباينان، فلا يصحُّ الخلط بينهما.

الإضاءة الرابعة: إنَّ بعض النماذج المبحوثة قد اشتمل على رؤيةٍ تفسيريَّةٍ خاصَّة بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام انفرد بها دون سواه، وهذا ما يُفصح عنه تراثه عليه السلام الثرّ والغزير بالرؤى والآراء العلميَّة الرشيقة والدقيقة، من قبيل ما مضى منَّا في تحليل الأنموذج الثاني الوارد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾؛ إذ نرى أنَّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد ذكر معنى لهذا النصِّ القُرآنيّ لم يسبقه إليه أحد، وهو تفسير سرعة الحساب الإلهيّ بالحساب الدفعيّ.

ولذا؛ فمن المفيد جدًّا فتح آفاق مستجدَّة وطريفة لتُراث أمير المؤمنين عليه السلام التَّفسيريّ بعنوان (متفرِّداته التفسيريَّة)، وأيضًا بعنوان (متفرِّداته في كيفيَّة توظيف النصِّ القرآنيّ) كما عرضنا في نماذج متعدِّدة، ونحو ذلك من العنوانات.

وهذه - كما ترى - آفاق بحثيَّة مباركة تتفتَّح منها أبواب ونوافذ عديدة، كما

لا يخفى على الباحث الحاذق .

إذن، فمن الجدير أن لا تتوقَّف حركة البحث في التُّراث العلويّ التفسيريّ عند العنوانات التكراريَّة التي اعتدنا عليها وألفتها أذهاننا؛ بل لا بدَّ من العبور صوب افتتاح محطَّات بحثيَّة جديدة .

الإضاءة الخامسة: لو تأمَّلنا التُّراث التفسيريّ المأثور عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ونظرنا إليه من زاوية أُخرى لأمكن تصنيفه على نحوين:

النحو الأوَّل: الروايات التي تتضمَّن آراءً ناجزة، وهذا يُشكِّل نسبةً كبيرةً من التفسير الروائيّ المأثور عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

النحو الثاني: الروايات التي تتضمَّن التفسير الاستدلاليّ المستند إلى الأدلَّة والشواهد، وهذا أيضًا يُمثِّل قسطًا وافرًا .

ولا ريب في أنَّ النحو الثاني من الروايات التفسيريَّة به حاجة إلى دراسات تحليليَّة مستقلَّة للكشف عن معالم هذا النحو من التفسير وتوظيفه في رفد العمليَّة التفسيريَّة .

الإضاءة السادسة: في الوقت الذي نُحاول الإفادة القصوى من التُّراث التفسيريّ للإمام أمير المؤمنين عليه السلام لا يفوتنا التنبيه إلى أنَّ بعض الروايات المأثورة عن الإمام علي عليه السلام، التي أُدرجت ضمن تراثه التفسيريّ سوف تخرج عن دائرة النشاط التفسيريّ؛ لكن لا بمعنى إهمالها وطرحها جانبًا؛ بل لفتح باب خاصّ بها لاستثمارها في مجالات أُخرى، وأكتفي بهذا القدر من الإشارة الإجماليَّة، وبيان ذلك وشرحه مفصَّلًا يحتاج إلى فرصة بحثيَّة أوسع علَّنا نُوفق لها إن شاء اللَّه تعالى.

أهمُّ نتائج البحث:

١- إنَّ الروايات التفسيريَّة المأثورة عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من زاوية البحث التفسيريّ ليست كلَّها على منوالٍ واحد، فقسَّمناها بلحاظ مدى وضوح النصِّ القرآنيّ المقصود بالرواية المأثورة عنه عليه السلام أو عدم ذلك على قسمين رئيسين:

أ-القسم الأوَّل: التوظيف الجليّ للنصِّ القرآنيّ عند الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهو ينقسم على صنفين:

الصنف الأوَّل: التوظيف الذي يكون في قالب التفسير وكشف المعنى.

الصنف الثاني: التوظيف الذي يكون في قالب التطبيق للنصِّ القرآنيّ.

ب- القسم الثاني: التوظيف الخفيّ للنصِّ القرآنيّ عند الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهو بنفسه ينقسم على صنفين أيضًا:

الصنف الأوَّل: توظيف النصِّ القرآني مع وجود القرينة البيِّنة.

الصنف الثاني: توظيف النصِّ القرآني مجرَّدًا عن القرينة أو مع القرينة غير البيِّنة.

٢- عرضنا ستَّة نماذج منتقاة من التراث التفسيريّ المأثور عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وتصدَّينا لتحليلها، وقد ركَّزنا في البحث على النماذج التي تضمَّنت التفسير الخفيّ للنصِّ القرآنيّ .

٣- أبدينا إضاءات منهجية عامَّة على تلك النماذج المتقدِّمة، وكانت ستَّ إضاءات .

٤- ونختم بحثنا هذا بتوصية، وهي : أنَّه توجد مسؤوليَّات جسام ملقاة على عواتقنا تجاه تراث الأئمَّة من أهل البيت عليهم السلام، وينبغي لنا إبراز هذا التُّراث بصورةٍ جديدةٍ معاصرة جذَّابة، ومن ناحية أُخرى علينا أن نُنقِّب في هذا التُّراث لاستنباط دُرره الكامنة فيه التي لم تُكتشف بعد.

المصادر

القرآن الكريم

نهج البلاغة

١- الاحتجاج، أبومنصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، مطابع النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٦ م .

٢- أُصول البحث العلمي ومناهجه، أحمد بدر، وكالة المطبوعات الحرمي، الكويت، ط ٦، ١٩٨٢ م .

٣- أُصول البحث، عبد الهادي الفضلي، مؤسَّسة دار الكتاب الإسلامي، قم .

٤- أقرب الموارد في فُصح العربيَّة والشوارد، سعيد الخوري الشرتوني اللبناني، مطبعة مرسلي اليسوعية، بيروت، ١٨٨٩ م

٥- الأمثل في تفسير كتاب اللَّه المُنزل، ناصر مكارم الشيرازي، من دون تاريخ .

٦- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار، محمَّد باقر المجلسي، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣ م .

٧- البيان في علوم القرآن، أبو القاسم الخوئي، المطبعة العلميَّة، قم، ط٥، ١٩٧٤ م .

٨- تاج العروس من جواهر القاموس، محمَّد مرتضى الزبيدي، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٠٦ هـ.

٩- تاج اللغة وصحاح العربيَّة، إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م .

١٠- التبيان في تفسير القرآن، محمَّد بن الحسن الطوسي، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط١، ١٢٠٩ هـ .

١١- التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، الدائرة العامَّة للمراكز والعلاقات الثقافيَّة، إيران، ط١، ١٣٦٨ هـ.ش

١٢- تفسير القمِّي، أبوالحسن علي بن إبراهيم القمِّي، مؤسَّسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، ط٣، ١٤٠٤هـ .

١٣- تفسير مقاتل، مقاتل بن سليمان، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م .

١٤- تفسير نور الثقلين، عبد علي بن جمعة الحويزي العروسي، مؤسَّسة إسماعيليَّان للطباعة والنشر والتوزيع، قم، من دون تاريخ .

١٥- التفسير والمفسِّرون في ثوبه القشيب، محمَّد هادي معرفة، الجامعة الرضوية، إيران، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٣٧٧ هـ . ش

١٦- تفصيل وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة، محمَّد بن الحسن الحرّ العاملي، مؤسَّسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ط١، ١٤١٢ هـ.

١٧- تهذيب اللغة، أبو منصور محمَّد بن أحمد الأزهري، الدار المصرية للتأليف والترجمة (دار القوميَّة العربيَّة)، ١٩٦٤م .

١٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمَّد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨ م .

١٩- الجامع لأحكام القرآن، محمَّد بن أحمد القرطبي، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، ط٢، ١٩٥٢ م .

٢٠- شرح نهج البلاغة، المعتزلي، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٩٥٩ م

٢١- الكافي، الكليني، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، ط٣، ١٣٨٨ هـ.

٢٢- الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار اللَّه محمَّد بن عمر الزمخشري، نشر البلاغة، قم، ط١، ١٤١٣ هـ .

٢٣- كتاب العين، الفراهيدي، مؤسَّسة دار الهجرة، إيران، ط٢، ١٤٠٩ هـ .

٢٤- لسان العرب، ابن منظور، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥ م .

٢٥- المحيط في اللغة، الصاحب ابن عبَّاد، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٩٩٤م.

٢٦- المدرسة القرآنيَّة (المطبوع ضمن المجموعة الكاملة للشهيد الصدر)، محمَّد باقر الصدر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٠ م .

٢٧- معاني القرآن الكريم، أبو جعفر المصري النحوي اللغوي النحَّاس، جامعة أُمّ القرى، العربية السعوديَّة، ط١، ١٤٠٩ هـ .

٢٨- المعجم الأُصولي، محمَّد صنقور، منشورات الطيَّار، قم، ط٢، ١٤٢٨ هـ .

٢٩- المعجم الوسيط، دار الفكر، من دون تاريخ .

٣٠- مفردات ألفاظ القرآن الكريم، أبو القاسم الحسين بن محمَّد الراغب الإصفهاني، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٢ م .

٣١- مقاييس اللغة، ابن فارس، دار الكتب العلميَّة، قم، من دون تاريخ.

٣٢- مَن لا يحضره الفقيه، محمَّد بن علي بن بابويه الصدوق، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، ١٤١٠ هـ.

٣٣- المنهج الأثري في تفسير القرآن الكريم (حقيقته ومصادره وتطبيقاته)، هدى جاسم محمَّد أبو طبرة، مكتب الإعلام الإسلامي، إيران، ط١، ١٩٩٤م.

٣٤- موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسُّنَّة والتاريخ، محمَّد الريشهري، دار الحديث للطباعة والنشر، قم، ط٢، ١٤٢٥ هـ.

٣٥- الميزان في تفسير القرآن، محمَّد حسين الطباطبائي، مؤسَّسة الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٩٧٣ م .

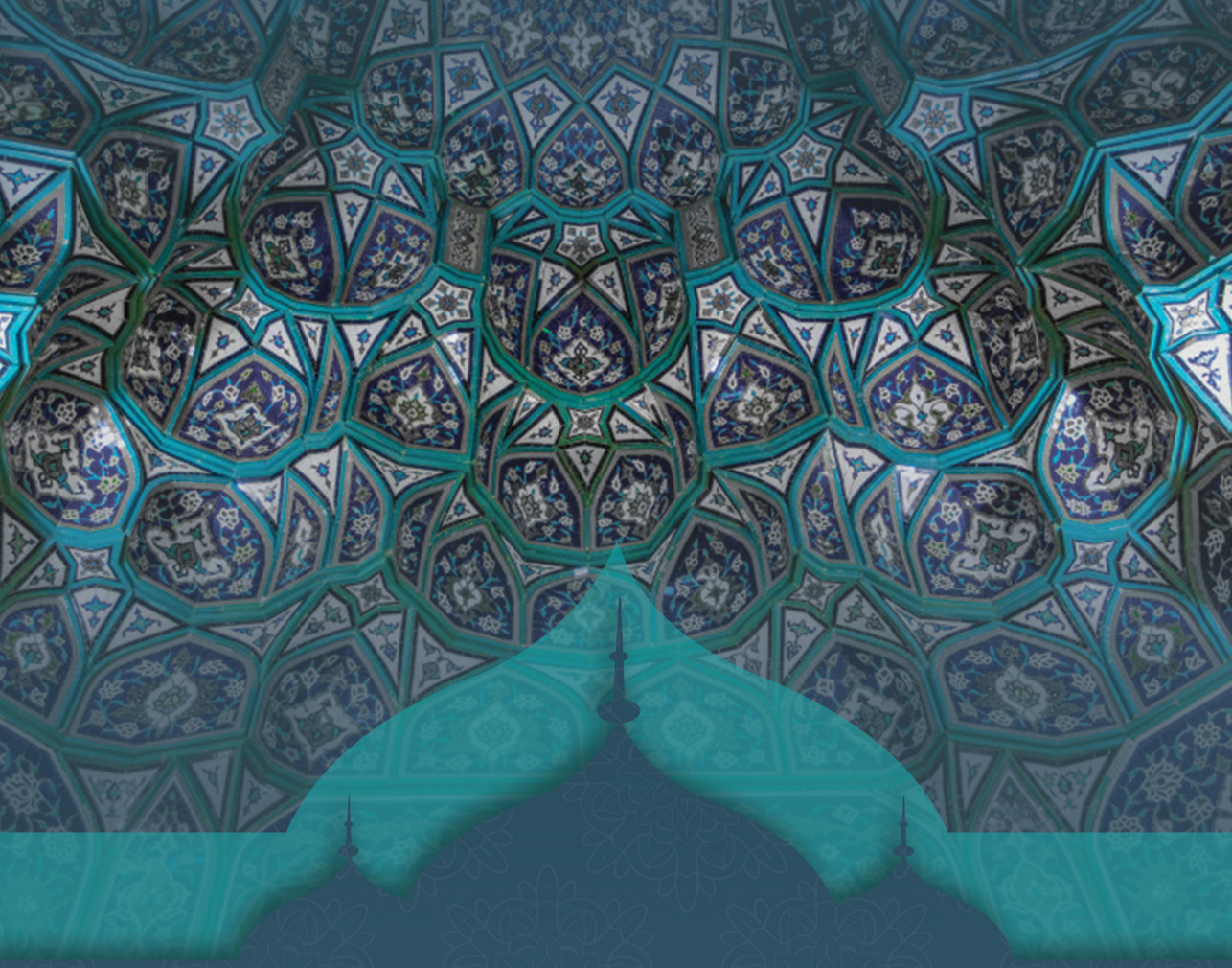

المَرْجِعيَّاتُ الحِجَاجِيَّة لإثْبَات وِلَايَةِ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ عليه السلام
دِرَاسَة فِي ضَوءِ تَحْلِيلِ الخِطَاب

م . د عماد طالب موسى الخزاعي
المديرية العامة للتربية في محافظة كربلاء المقدَّسة

The Argumentative References for Establishing the Guardianship of the Commander of the Faithful (peace be upon him)
A Study in Light of Discourse Analysis

M. D. Imad Talib Musa al-Khuza'i
General Directorate of Education in the Holy Province of Karbala

الملخّص:

يدرسُ هذا الجهدُ المتواضعُ الأدلَّةَ التي تثبتُ (عقيدةَ الإمامةِ) وأسَّسَت لها، بوصفها نصوصًا عاليةَ المصدرِ، من قرآنٍ كريم، وحديثٍ نبويٍّ شريفٍ، ونهجِ البلاغةِ، وهي خطاباتٌ عرضَ لها كلُّ أطيافِ المسلمينَ بالدرسِ وقرؤوها بلحاظِ ما يعتقدونَ لا بلحاظِ ما تفرزُهُ هي من عقيدةٍ، لذلك دارَت رحى التفسيرِ، والشرحِ، والتوجيهِ على وفقِ أهواءٍ ومشاربَ، منها ما جانبَ الصوابَ كليًّا، ومنها بينَ بينَ، ومنها غرفَ من الماءِ الزلالِ، والأفقُ الذي حملَ ذلك كلَّه هو اللغةُ، فمن بابٍ أولى أن يلتفتَ المختصُّونَ فيها إلى دراسةِ تلك الخطاباتِ أو بعضِها على وفقِ مناهجَ لغويَّةٍ ناجعةٍ تتأمَّلُ مفاصلَ الخطابِ من أوَّلِ تكوينٍ خطيٍّ له، ثم تتبَّعَ إشاريَّاتِه ومقامِه لتقتربَ من قصدِ منتجِه، فتُصحِّحَ فهمًا، أو تؤيِّد تفسيرًا في حدودِ المنهجِ المتبعِ، وعلى ما تسمحُ به طاقةُ اللغةِ ولياقتُها في التعبيرِ، ويبقى ذلك كلُّه اجتهادَ باحثٍ قد ركنَ في قراءتِه لبعضِ النصوصِ التي أسَّسَت لعقيدةِ (الإمامة)على وفقِ آلياتٍ تحليليَّةٍ تسالمَ عليها الدرسُ اللغويُّ.

وقد أفرزت المنظومة الفكريَّة مناهج ونظريات لا يتَّسع المقام لذكرها، ولكنَّ الدراسة تؤثر الاتجاهات ذات العلاقة بمفهومها وإجرائها من اتجاهات تحليل الخطاب لتقف عندها بالقدر الذي يحقِّق مبتغاها، ويفتح الأفق للقارئ لإدراك مسارها، وهي؛ التحليل البنيوي، والتحليل التداولي، والتحليل الحجاجي، ليقوم البحث على مبحثين، عرض الأوَّل منهما التحليل البنيوي، والآخر التحليل التداولي الذي يشمل التحليل الحجاجي أيضا، وقد شُفِعا بخاتمة، ثم ثبت المصادر.

الكلمات المفتاحيَّة: الحجاج، أمير المؤمنين عليه السلام، تحليل الخطاب.

Abstract:

This modest effort examines the evidences that establish the doctrine of Imamate and form its foundations, considering them as texts of exalted origin—namely the Holy Qur'an, the noble Prophetic hadith, and Nahj al-Balāgha. These are discourses that all groups of Muslims have studied and interpreted according to their own beliefs rather than according to the creed that these texts themselves generate. Thus, the cycle of interpretation, explanation, and justification has revolved according to differing inclinations and tendencies some completely missing the mark, some taking a middle stance, and some drawing from pure, refreshing water. The medium that carried all of this is language, and therefore it is essential for specialists in this field to study these discourses or some of them through effective linguistic methodologies that contemplate the components of the discourse from its earliest written formation, then trace its indications and context to approach the intent of its producer, thereby correcting an understanding or supporting an interpretation within the boundaries of the adopted methodology and within the expressive capacity and suitability of language. All of this remains the ijtihād of a researcher who relied in his reading of certain texts that established the doctrine of Imamate on analytical mechanisms agreed upon in linguistic studies. The intellectual framework has produced various methodologies and theories that cannot all be mentioned here, but the study focuses on the approaches most closely related to its concept and application from the field of discourse analysis, stopping at them to the extent necessary to achieve its aim and open the path for the reader to grasp its trajectory. These are: structural analysis, pragmatic analysis, and argumentative analysis. The study dedicates a section to each approach, consisting of two main topics—the first presenting structural analysis, and the second presenting pragmatic analysis, which also includes argumentative analysis. Both are followed by a conclusion and a list of sources.

Keywords: argumentation, the Commander of the Faithful (peace be upon him), discourse analysis.

المقدِّمة

يتَّخذُ منتجُ الخطابِ لتحقيقِ التأثيرِ في المتلقينَ وتوجيههم تقنياتٍ حجاجيَّةً عدَّةً؛ تعتمدُ على مرجعيَّات الخطيب الثقافيَّة، وقد حفل القرآن الكريم، والأحاديث النبويَّة، وخطب نهج البلاغة بمرجعيات خطابيَّة متنوِّعة تعد مرتكزات الخطاب، إضافة إلى مساحة كبيرة لمشاهد واقعيَّة عاشها أطراف الخطاب، كلُّ تلك المرجعيات تخلق تقنيات حجاجيَّة تؤيِّد فحوى الخطاب، وتزيد زخم تأثيره في المتلقين، ومن أهم القضايا التي عالجتها تلك المصادر المقدَّسة هي قضيَّة (الإمامة)؛ إذ تمثِّل منطقة جدل واسعة بين المذاهب الإسلاميَّة، وعليها يترتب صدق الالتزام بما دعا إليه القرآن الكريم مفهومًا، وطبَّقه النبي صلى الله عليه وآله مصداقًا، على وفق طقوس يستحيل معها التشكيك في تواترها، ومع كلِّ ذلك جرى تسويف تلك التعاليم، ومغالطات مفهوميَّة للمصطلح(الإمامة/ الولاية/ الخلافة).

يهدف البحث إلى الكشف عن المرجعيَّات الحجاجيَّة لإثبات عقيدة الإمامة في الخطابات الدينيَّة المقدَّسة باتباع منهج تحليل الخطاب؛ إذ إنَّ فَهْمَ الخطاب يتجه نحو التواشج بين الفكر واللغة، ودراسته تبحث تعبير الفكر عن نفسه في اللغة، فهو يفرض على الأشياء الدخول إلى أفق الدوال ومن ثَمَّ يُمكِّن الذات من أن تحوِّل الخبرة إلى متعيَّن، قابل لأن نسميه ونتحكَّم فيه أو نناوش ذلك التحكُّم دائب المراوغة ويسهم هذا في تأسيس الذات التي تنزع إلى الهيمنة على خبراتها حين تصير اللغة مظهرًا للفكر. وقد أفرزت المنظومة الفكريَّة مناهج ونظريات لا يتَّسع المقام لذكرها، ولكنَّ الدراسة تؤثر الاتجاهات ذات العلاقة بمفهومها وإجرائها من اتجاهات تحليل الخطاب لتقف عندها بالقدر الذي يحقِّق مبتغاها، وهي؛ التحليل البنيوي، والتداولي، والحجاجي، ليقوم البحث على مبحثين، عرض الأوَّل منهما التحليل البنيوي، والآخر التحليل التداولي الذي يشمل التحليل الحجاجي أيضاً، وقد شُفِعا بخاتمة، ثم ثبت المصادر.

المبحث الأوَّل

التحليلُ البنيويُّ لمرجعيَّاتِ الإمامةِ

البنيويَّة هي المسار الذي سلكه علم اللغة في العصر الحديث، وأصبحت اللغة في ضوئها كيانًا يُدرس في ذاته ومن أجل ذاته[١]، والمرتكز الذي انبنت عليها أغلب الاتجاهات اللغوية التي ((تبدأ بسوسير وتنتهي بجومسكي، بل إنَّ جومسكي نفسه قد عُدَّ بنائيًا؛ إذ أطلق (جان بياجيه) على نظرية جومسكي اسم (البنيوية التحويلية)))[٢] والبنيوية تسمية أطلقت على المدارس اللسانية التي تدرس(نظام/ بنية) اللغة وتصفها، وقد ظهرت في منتصف القرن العشرين[٣] ويُعدُّ (سوسير) أباً للبنيوية، بيد أنَّه لم يذكر (بنية) وإنَّما ذكر (النسق/ النظام) وظهر مصطلح البنيوية عام ١٩٢٨م ، الذي يقف عند حدود الشكل وما يفرزه من معنى، لتهتم بالنسق وطريقة بنائه، وتنظر إلى اللغة بوصفها بناءً أو نظامًا أو هيكلًا مستقلًّا عن منتجه، وظروف إنتاجه الخارجيَّة؛ وتتفحص ذلك النظام من طريق البحث عن الوحدات المكوِّنة له[٤]ويقابل اللغة بوصفها نظامًا، والكلام بوصفه مظهرها المتحقِّق ((فهو الإنجاز اللفظي المتنوع الذي انتقل من مرحلة الغموض والكمون في العقل الباطن ليصبح رموزًا مستحضرة واضحة تعبر عن مدلولاتها، وعلى هذا يترتب ... أن لا يتركز البحث في اللغة على استقصاء أصولها التاريخية البعيدة، وإنما يتركز في دراسة تراكيبها وأصواتها وخصائص مفرداتها على النحو الذي تداوله الناس تداولًا حيًّا لا من خلال النصوص المكتوبة))[٥].

وجاءت مدرسة جينيف اللسانية بسمتها التعدُّدية في استقلال نظرة علمائها إلى

(١) ينظر: علم اللغة العام: ٣٤.
(٢) البحوث اللغوية والأدبية(الاتجاهات، والمناهج، والإجراءات):٧١.
(٣) ينظر: علم اللغة العام: ٣٠.
(٤) ينظر: النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية: ١٠٦.
(٥) الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة: ٣٥.

اللغة؛ إذ تبنَّت مقولات (سوسير) ووسَّعتها لتكون طروحاتهم مهتمة بتحويل اللغة إلى كلام من طريق تركيزهم على جانبين؛ الأوَّل اللغة بوصفها نظامًا، والآخر مراعاتهم جانب الانفعال والتأثير ليلجوا إلى لسانيات الكلام تمهيدا للتداوليَّة، وخلاصة ذلك اهتمَّت البنيويَّة بدراسة النسق اللغوي والوقوف على العلاقات الداخلية بين الألفاظ لتحديد معناها أوَّلا، والخروج بالمعنى العام من النص ثانيًا، من دون الاعتماد على المؤشِّرات غير اللغويَّة في فهم المنطوق، ويعد هذا الإجراء أوَّل مراحل الظفر بمعنى البنية بوصفه يقدِّم خطوة في استعمال اللغة بالفعل بعد أن كانت موجودة بالقوَّة؛ لأنَّ اللسانيات التي درست الكلمات بوصفها إشارات لغوية تميَّزت بانشطارها في ثنائية الدال والمدلول عند (سوسير)- بقطع النظر عن المرجع عند (أوجدن وريتشاردز)- فإنَّ هذه المعادلة إذا ما أريد لها أن تتجاوز حدود هذا المعطى لا يسري تطبيقه عند الحديث عن (القصد) الذي يضمره المتكلِّم في الكلمة أو لنقل التركيب بصورة عامة؛ لأنَّ الكلمة في هذا الاشتغال تغادر ما عُرفت به من دلالة أو تغدو دلالتها الأصليَّة ثانويةً مرشدةُ بمعيَّة القرائن إلى قصد المتكلِّم وليس بالضرورة أن تحتفظ في إطار النظر إلى الإشارة بوصفها كلمة مفردة، إذ قد يحرر المدلول من علاقته بالدال التي يقيمها في إطار الكلمة من منظور لساني لينتقل إلى حقل الخطاب؛ لأنَّ (القصد) جزء من دلالة النص معنى، وخارج عنه اشتغالًا، وليس جزءًا من دلالة الكلمة، ولذا فإنَّ أيَّ نصٍّ يخلو من القصد لا يرقى إلى مرتبة الخطاب، ومن ثَمَّ لا يقوى أن يحافظ على انسجامه الداخليِّ، وسيفقد في النتيجة توجُّهه الاتصالي[1].

يدرس البحث الأدلَّة الحجاجيَّة على (الإمامة) بوصفها منصبًا ربَّانيًّا لا دخل للناس في اختياره كما النبوَّة من طريق تأمُّل حواضنها الشكليَّة بنيويًّا؛ لنقف على العلاقات التركيبيَّة التي تحكم النظام بدقَّة وتحدد مقاربة مقصد الخطاب، بعيدا عن زيغ الفهم، ولي عنق النص الذي مُورِس بحسب الأهواء والعقيدة.

(١) ينظر: اللسانيات والدلالة: ٦٦-٦٧.

المطلب الأوَّل

النسق البنيوي الجامع للملفوظات

الخطاب بصورة عامَّة قائم على إرادتين؛ إرادة لغويَّة، وإرادة إنسانيَّة/ منتج الخطاب، أمَّا الأولى فتمُدُّ الخطاب بشرعيَّة قوانينها، وترابطِ كلماتها، ليكون مقبولًا مفيدًا، وأمَّا الأخرى فتمثِّلُ غرضَ منتجِ الخطابِ؛ فهو الذي يؤسِّسُ لها ويكوِّنُها، وإذَّاك فهو الذي يتحكَّمُ في محدوديَّةِ قوانين الإرادةِ الأولى ويوجِّهُها بحسب قصده من الخطابِ من طريق أسلوبِ النظم، وانتقاءِ الكلمات[1]، فاللغة على وفق ذلك تقدِّمُ سلسلةً من الاختيارات المادَّيةِ المعنويَّةِ المشتركة لدى منتج الخطاب ومتلقِّيه؛ ليوظِّفها المتكلم بحسب غرضه من الخطاب، وهذا يقودنا إلى القول بطاقة اللغة الخلَّاقة- بحسب ما نادى بها تشومسكي- بلحاظ قوانين اللغة أوَّلًا، وإلى القول بانفتاح المعنى وحركته بلحاظ قصود مستعمليها ثانيًا، وبين هذا وذاك فاللغة قوام متكامل متناسق قائم على تفاعل مستوياتها الصوتيَّة والصرفيَّة والنحويَّة والدَّلاليَّة تستوعب إرادة المتكلِّم؛ لرصف ما يمكِّنه من تحقيق مبتغاه الخطابيِّ، وتمُدُّ المتلقيَ بأسسِ تفسيرِ ما يتلقَّاه من خطابٍ؛ لاشتراكهما بملكةِ استقبالِها سليقةً، وممارستِها تواصلًا.

المقصود بالنسق البنيوي هو الداخل اللغوي الذي يكوِّنه توالي الملفوظات، من دون الخروج إلى إطار الخطاب الخارجي، وهذا إجراء نهدف منه إلى مراقبة معنى البنية المعجمية بلحاظ السياق اللغوي بوصفه أوَّل البيان المعنويِّ الذي تكتسي به الألفاظ؛ إذ إنَّ الألفاظ إشارات لغويَّة بحسب البنيويين تنقسم على دال ومدلول، ولكنَّ هذه المقولة تتراجع سلطة تطبيقها- بحسب ما توضحه تطبيقات هذا المبحث- إذا توسَّعَ أفقُ التحليلِ ليبحثَها في ظلِّ السياقِ؛ لأنَّها

(١) ينظر: اللسانيات والدلالة: ٦٣- ٦٤.

محكومةٌ على وفقِ ذلك بقصدٍ معيَّن، ويكونُ اشتغالُ المطلب بحسبِ خطواتٍ تبدأُ برصدِ المعنى الوضعيِّ للفظةٍ ما في المعجم، ثم تتبُّع معناها في الخطابِ لنرصدَ معناها المقصود، متأمِّلينَ في المسافةِ التي تفصلُ بينَ المعنى الوضعيِّ والمعنى المقروء في الاستعمال، ومثاله ما نجده في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦]، فقد تناوشت معنى (وليُّكم) آراءٌ كثيرةٌ[١]، واختُلِف في تحديد (الذين آمنوا) أيضًا، علمًا أنَّ هذه الآية تُعدُّ من أهم الآيات التي تؤسس لمصطلح (الإمامة) التوقيفي؛ إذ إنَّ جذر (وَلِيُّكُمُ) من (ولي) وهو ((أصل صحيح يدل على قرب))[٢] ومن معانيها ((المتولي لأمور العالم والخلائق القائم بها، قال ابن الأثير: وكأنَّ الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل))[٣] فينبئ سياق الآية البنيويُّ عن معنى ﴿وَلِيُّكُمُ﴾ هو ((من كان مستحقًّا للأمر، وأولى القيام به، وتجب طاعته))[٤] وهو ((الأولى بالتصرف، والإمام دون الناصر والمحب؛ لأنَّ حصر النصرة والمحبة في المؤمن المعطي للزكاة في حال الركوع غير مستقيم لتحققهما في المؤمن مطلقًا، وإذا كان الولي بالمعنى المذكور كانت نسبة الولاية إلى اللَّه تعالى من باب نسبة ما لأوليائه إليه))[٥] يؤكِّد ذلك اقتران لفظ (الولاية) باللَّه سبحانه، والرسول صلى الله عليه وآله والمؤمنين، فلزم والحال هذه أنَّ لفظ (المؤمنين) المخصوص بالولاية لا يشمل عامَّة المؤمنين، وإنَّما هو تكريم وتعيين اختص بنفر منهم من دون غيرهم، وإلَّا تساوى ما للذات المقدَّسة مع سائر المؤمنين وهذا لا يصح عقلا، أمَّا الولاية لله والرسول فمسلَّمًا بها، أمَّا ولاية الذين آمنوا فحدث في مصداقها خلاف بيد

(١) الاقتصاد: ١٩٨، معالم التنزيل في تفسير القرآن: ١/ ١٦.
(٢) معجم مقاييس اللغة: ٦/ ١٤١.
(٣) لسان العرب: ١٥/ ٤٠٦-٤٠٧.
(٤) الاقتصاد: ١٩٨.
(٥) شرح أصول الكافي: ٤/ ٢٣٤.

أنَّ النسق البنيوي الذي قدَّم الملفوظقد خصَّص المقصود بها بدقَّة؛ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[المائدة: ٥٥]؛ فحدَّد النسق اللغويُّ المخصوص بـ(الولاية/ الإمامة) من طريق ثلاث صفات:

- الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ.
- وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ.

وَهُمْ رَاكِعُونَ ← وليُّكم.

فإذا كانت الصفتان الأولى والثانية تحملان اشتراك جميع المؤمنين بهما؛ لأنَّ كلَّ مؤمن- لو سلَّمنا- يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، فإنَّ الصفة الثالثة أكثر تخصيصًا؛ فهي قيَّدت الصفتين السابقتين بأن تصدق ولاية من يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة وهو راكع حصرًا، وهذا خبر لما كان - إن صح التعبير- لا لما يكون حتى يُطبَّق، وكأنَّ الآية المباركة جاءت لتصادق فعلا وتجعله علامة مائزة لوليِّ اللَّه تعالى الذي تجب طاعته، فالتفاعل الدلالي بين عناصر السياق اللغوي يركِّز المعنى، ويحمل القصد بوضوح.

إذا تحدَّثنا عن مصداق (الذين آمنوا) فقد أجمع أكثر المسلمين على أنّ مصداقها هو الإمام عليّ عليه السلام[١] وقيل في لفظ الجمع- راكعون-إنَّه((لإيراد المبالغة))[٢] ولعلَّ في ذلك الجمع إشارة إلى الأئمّة المعصومين عليهم السلام من ذريَّته، وخرج العطف للتشريك مع مراعاة الرتبة في التقديم[٣]، وقد قدَّم السياق اللغوي عاقبة من يتولَّى تلك الأقطاب الثلاثة (اللَّه، الرسول، والذين آمنوا) وهي الغلبة والفوز

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ): ١٠/ ٤٢٥، معالم التنزيل في تفسير القرآن: ١/ ١٦، وغيرها كثير.
(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:١/ ٦٤٨.
(٣) ينظر: البلاغة والتطبيق: ١٤٥.

﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾، وإنَّ (الذين آمنوا) بوصفهم أولياء مخصوصين، يختلفون عن المنادى في الآية التالية لها؛ إذ قدَّم السياق اللغوي في الآيات الثلاثة موضع التحليل ثنائيَّاتٍ ضدِّيَّةً تعضِّد اختصاص الولاية لأشخاص معيَّنين وتبعدها عن العموم الذي نادى به طائفة من المفسِّرين وغيرهم[1]، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[2]؛ إذ نلاحظ المنادى هنا (الذين آمنوا) لينهاهم (سبحانه) عن اتخاذ ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ يُعزِّز ذلك تذييل الآية المباركة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فكيف يخبر بولاية (الذين آمنوا) من جهة، وينهى (الذين آمنوا) من اتباع الكافرين من جهة أخرى، مع العلم أنَّ من اختصَّت بهم الولاية هم امتداد طولي لولاية اللَّه سبحانه المطلقة بدليل اشتراكهم بحرف العطف (الواو)، وهذا يتطلَّب مصداق معيَّن؛ وهذا المصداق قد ذكرته كتب أسباب النزول، والتفسير أنَّه الإمام علي عليه السلام؛ لأنَّ الولي بهذا التخصيص هو من أقام الصلاة وآتى الزكاة وهو راكع[3]، وقد نفى التركيب اللغوي الذي جاءت عليه الآية أن يكون غير ما ذُكر وليًّا للمؤمنين بدلالة أداة الحصر (إنَّما)[4]، وهذا المعنى يكشفه الترابط البنيوي بين الملفوظات في سياق الآية؛ إذ المعنى في البنيويَّة ((هو محصلة (توزيعية بنائية) يتحدد معنى الكلمة على أساس علاقاتها المتقاربة مع غيرها، ويعد الأمريكي (بلومفيلد) مؤسس هذا الاتجاه الشكلي في تحديد المعنى))[5]، وقال أمير

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١٠/ ٤٢٤، وتفسير القرآن العظيم لابن حاتم: ٤/ ١١٦٢، والكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٤/ ٨٠، وشرح مقدمة أصول التفسير لابن تيمية: ٢٢٤.
(٢) سورة المائدة: ٥٧.
(٣) الاقتصاد: ١٩٩.
(٤) الاقتصاد: ١٩٩.
(٥) البحوث الأدبية واللغوية(الاتجاهات، والمناهج، والإجراءات): ٨٩.

المؤمنين عليه السلام في أولياء الله سبحانه: ((إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ هُمُ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا إِذَا نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا وَ اشْتَغَلُوا بِآجِلِهَا إِذَا اشْتَغَلَ النَّاسُ بِعَاجِلِهَا بِهِمْ عُلِمَ الْكِتَابُ وَ بِهِ عَلِمُوا))[1] فمستبعد أن يكون معنى الولي هو الناصر، وإنَّما هو الإمام المعصوم المنصوص عليه من الله سبحانه، ورسوله صلى الله عليه وآله وهو المتصرف بشؤون الناس عامَّة وعليهم طاعته.

لقد نزلت الآية في ظهرانيِّ المسلمين لتبيِّن لهم ولاة أمرهم ومن تجب طاعتهم التي تقع طوليًّا مع طاعة الله وتوحيده سبحانه؛ إذ هما - الرسول والمؤمنون- اللذان خصهم الله سبحانه بالولاية وقد أكد ذلك الرسول صلى الله عليه وآله للناس في حديث عُرف بـ(حديث الثقلين) المتواتر صدوره عند جميع الفرق، والآية المباركة موضع البحث قدَّمت الطريق لتوحيد الله تعالى، والمبيِّنين لدينه وهذا يتطابق مع مضمون حديث الثقلين[2]؛ قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله: ((إِنِّي تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب اللَّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض))[3]،لو عدنا إلى الآية المباركة لوجدنا لفظ (الرسول) جاء متوسِّطا بين لفظ الجلالة(الله) ولفظ(المؤمنون) موقعًا بين ألفاظ الآية المباركة، والنكتة اللطيفة أنَّ هذا التوسط أيضا يستمر في الوظيفة التبليغية أولًا، ومراتب التلقي والهداية ثانيًا؛ وبيان ذلك أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله يتلقى التعاليم السماوية من طريق الوحي الإلهي لتصل بدقائقها إلى وصيِّه وعيبة علمه أوَّلا، ثم ينشأ صلى الله عليه وآله بتبليغها إلى الناس عامة، وأوَّل مصداق تطبيقي لتلك التعاليم ومستوعبًا للعلوم هو الإمام علي عليه السلام لذلك قال الإمام: ((وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله - بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ والْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ - وَضَعَنِي فِي حِجْرِه

(١) نهج البلاغة، تحقيق: د. صبحي الصالح: ٥٥٢.
(٢) لي في هذا الموضوع مقالات منشورة في مواقع الأنترنيت.
(٣) مسند أحمد بن حنبل(٢٤١هـ): ١٧/ ١٧٠.

وأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِه - ويَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِه ويُمِسُّنِي جَسَدَه - ويُشِمُّنِي عَرْفَه - وكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيه - ومَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ ولَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ، ولَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُه اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّه - يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِه عَلَماً - ويَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِه، ولَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ فَأَرَاه ولَا يَرَاه غَيْرِي، ولَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ - غَيْرَ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله وخَدِيجَةَ وأَنَا ثَالِثُهُمَا - أَرَى نُورَ الْوَحْيِ والرِّسَالَةِ وأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ)[1]

ولو عملنا مقابلة بين الآية والحديث نجد الترتيب عينه حاضرًا في الحديث، وحلقة الوصل- الرسول- في الموقع نفسه بين الله تعالى والعترة عليهم السلام وهذا النظام الإلهي التوقيفي سارٍ حتى لا تخلو الأرض من حجة بعد النبيِّ الخاتم؛ إذ إنَّ الولاية جاءت لتنقذ الناس من الضلال من طريق التمسُّك بالثقلين وهما القرآن الكريم الصادر بلفظه ومعناه من الله تعالى وهو حطاب الله في الأرض، والعترة الطاهرة الذين هم امتداد الرسول فينا ويمثِّل الرسول حلقة الوصل الذي تلقى فبلغ وجعل أمناء على ما تلقى وحجج على ما يفعل الناس.

(١) نهج البلاغة: ٣٠٠-٣٠١.

المطلب الثاني

دقَّة النسقِ التركيبيِّ في بيان المعنى

تمثِّل البنيةُ التركيبيَّةُ الإنجازَ الكلاميَّ المتحقِّقَ على مستوى الاستعمال في المقامات التخاطبيَّة التي تتوازعها نظريات بحثت قوام ائتلافاتها الشكليَّة، وأُخَر درست نواتجها المعنويَّة، فأضحت – البنية التركيبية– نقطة التقاء المناهج والنظريَّات اللغويَّة والدلاليَّة على اختلاف مراميها؛ لأنَّها قوام تماسك مستويات اللغة في كلِّ نسقيٍّ مرصوف على وفق العرف اللغوي الذي يُعدُّ نتيجة ((عن مجموعة من العلاقات الحيَّة المتنامية، وليست مجرد رصفٍ للألفاظ بلا تعلُّق فيما بينها، وأنَّ هذه العلاقات تبرز من طريق الصنعة التي يُستعان عليها بالفكرة والروِّية والذوق))[١] إنَّ الألفاظ وإن كانت كوامن المعاني الأوليَّة غير أنَّها لا تلبِّي غرض المتكلِّم في حدثه الخطابي الذي ((لا يمكن أن ينحصر في البنية الفرديَّة للألفاظ؛ بل لا بدَّ من تجاوزه إلى التشكيل التركيبي))[٢] الذي يشتمل على المكوِّنات التركيبيَّة من دون فصل بين ((الألفاظ ومعانيها ولا بين الصورة ومحتواها الواقعي أو الذهني ولا بين الشكل والمضمون))[٣] وهذا يكشف عن واقع اللغة التي ((تتمثَّل بالمفردات أوّلًا، ثمَّ بالتراكيب ثانيًا، والتراكيب هي محطّ الفائدة التي يتوخَّاها المتكلّم ويتطلّبها المتلقي))[٤] على وفق نظم ((تأليف الكلمات وتركيبها وهذا النظام يُعرف من مواقع بعض الكلمات من بعض في الجملة، وللعربية نظامها الخاص في ذلك، والجملة هي التي تشكل تركيبًا مفهومًا))[٥]

إذا عدنا إلى الآية المباركة ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ﴾ نجد أسلوب الحصر بـ(إنَّما) يشير إلى((وجوب اختصاصهم بالموالاة، وأصل الكلام: إنّما وليكم

(١) الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني (منهجًا وتطبيقًا): ١/ ٨٩.
(٢) البلاغة العربية، قراءة أخرى: ٩٨.
(٣) الأسلوبية والبيان العربي: ٧٩.
(٤) معجم علم اللغة النظري:١٥٧.
(٥) نظام الجملة العربية: ٣٠.

اللَّه، فجعلت الولاية للَّه على طريق الأصالة، ثم نظم في سلك إثباتها له إثباتها لرسول اللَّه والمؤمنين على سبيل التبع))[١] وقد جاء الخبر جملة اسميَّة للدَّلالة على ثبوت الولاية لأهل البيت عليهم السلام، وجاءت الصلة جملة فعليَّة(يقيمون) و(يؤتون) ليكشف عن استمرار الولاية في فيهم لا غير[٢].

وقد اكتنف بنية حديث الثقلين التركيبيَّة جملة سمات توكيديَّة؛ منها التوكيد غير المكفوف (إنِّي) والمكفوف ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ﴾ في مفتتحها؛ ليُخصَّص المعنى في المكفوف ويخرج ما سواهم من الولاية، ويؤكِّد -في غير المكفوف- عملًا ومعنى، وبناء اسم الفاعل(تارك) امتدَّ تأثيره التركيبي إلى لفظ(الثقلين) ليقدِّم تماسكا نصيًّا من جهة، ودقة معنويَّة من جهة أخرى، وجاء النفي التأبيدي (لن) ليزيد من قوة التأكيد في الآية في بيان التلازم وعدم الافتراق حتى لقاء الله سبحانه..

إنَّ ترابط الأدلَّة الحجاجيَّة فيما بينها يؤكِّد عقيدة (الإمامة/ الولاية) وما تمتاز به من صفات أهمُّها (العصمة)؛ لأنَّ المسلمين يأخذون تعاليم الدين من الذي تأمن منه عدم الزلل، وإلَّا يصبح ذلك الاقتداء وبالًا عليهم؛ ولذلك جاء مثلث الولاية محصورًا بين (اللَّه، والرسول، والذين آمنوا) وهو مسار عصمة، ومصدر إشعاع الهداية، لنا أن نوضِّحه بحسب المخطط الآتي:

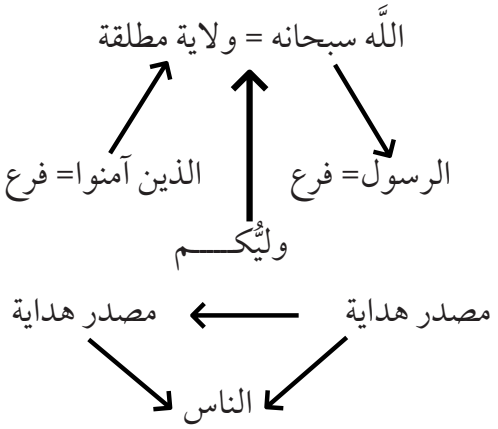

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:١/ ٦٤٨.

(٢) إنَّ أمر التصدق في الركوع ورد تكراره عن الأئمة عليهم السلام. ينظر: شرح أصول الكافي:٤/ ٢٣٤.

قدَّمت الأحاديث النبويَّة ركائز الدين الحنيف، فبيَّنت المجمل واستوفت المفصَّل على هدي منشود للعباد وفي كلِّ ذلك لا تخرج عن الامتداد القرآني، بل تأتي امتدادًا لآياته ومرآة ناصعة لمعانيه وهي مصداق قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [النجم:٣] حتى أضحت تلك السمة المائز بين صحيح الأحاديث من لصيقها حاضرًا؛قال الصادق عليه السلام: ((كلّ شيء مردود إلى الكتاب والسنّة، وكلّ حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف))[1] لذا فإنَّ لحديث الثقلين مصاديق قرآنيَّة تؤكِّده ومنها الآية موضع التحليل ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ وعلى ذلك يبدو جليًّا التطابق اللفظي والموضوعي بين الآية والحديث، ليقطع التأويلات التي سيقت في هذا الصدد بأنَّ المؤمنين لفظ عام يشمل كل المؤمنين؛ على الرغم من التخصيص الذي ذُيِّلت به الآية الكريمة من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة حال الركوع الذي جاء وصفا لحال الإمام علي عليه السلام عندما تصدق وهو راكع في المسجد أمام مرأى ومسمع جميع من حضر، وفحوى هذا الامتداد في الولاية أنَّهم عليهم السلام المنتخبون المتقون الذين ارتقوا بتقواهم وعلمهم حتى خطُّوا معالم العصمة وأضحوا أهلها والأحق بها.

(١) الكافي: ١/ ٦٩.

المبحث الثاني
التحليلُ التَّدَاوليُّ لأَدِلَّةِ الإمامةِ

برزت التداوليَّة في أمريكا في القرن التاسع عشر من طروحات شارل ساندرس بيرس (١٨٣٤- ١٩١٤) التي اهتمَّ فيها بالرمز، والإشارة، والأيقونة، وركَّز على البعد التواصلي للغة على وفق مقاربة تداولية تعنى (بورود العلامة)، ليكمل شارل موريس هذا المفهوم فميَّز بين مظاهر اللغة الطبيعية: المظهر التركيبي والمظهر الدلالي، والمظهر التداولي، وبذلك بشر موريس بالمقاربة التداولية التي تدرس اللغة في سياقها التواصلي بوصفها صيحة على المناهج الشكلية التي تهتم بالتركيب والدلالة وتقصي الوظيفة الاستعمالية/ السياقية التي تعدّ ضرورة لاكتمال الفهم الدقيق للخطاب[١].

تمثِّل التداولية تغيُّرًا في محور الاتجاه الفلسفي بتركيزه على دراسة اللغة، فكان انطلاق مفاهيمها من الفلسفة التحليلية من طريق رائدها غوتلوب فريجة؛ إذ وجَّه موضوع الفلسفة إلى تحليل اللغة[٢]؛ لأنَّ ذلك يرشدنا إلى تفسير فلسفيٍّ للفكر، والأخير يقودنا إلى الفهم الكلي للكون[٣]، فاللغة أو التعابير اللغوية لا معنى لها إلاّ في سياق محدّد، أي أنّ اللفظ يأخذ معناه من المناسبة التي استعمل فيها[٤]، لتأتي مرحلة نضوج النظرية على يد (جون سيرل)، فأكمل طروحات أستاذه أوستين في نظرية (الأفعال الكلامية) فبيَّن تأثير استعمال اللغة في إنجاز الأفعال الكلاميَّة ليدخل الفعل التأثيري لجميع الأفعال الإنجازية[٥]، وأضاف -أيضًا- الأقوال

(١) ينظر: التداوليات وتحليل الخطاب: ١١، والتداولية من أوستين إلى غوفمان: ٤٣.
(٢) ينظر: تداولية الخطاب السردي دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي: ١.
(٣) ينظر: المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ظاهرة الاستلزام الحواري أنموذجًا: ١٥.
(٤) ينظر: اللغة والمعنى مقاربات في فلسفة اللغة: ١٤٥.
(٥) ينظر: التداولية اليوم- علم جديد في التواصل: ٣٣.

المتضمّنة في القول[١]، ونشر غرايس في ١٩٥٧م مقالًا يتحدَّث عن الدلالة بيد أنَّه طوَّر الطرح التداولي، على وفق رؤية مغايرة لرؤية سابقيه؛ إذ سلك في بحثه الفلسفي ((طريقة جديدة لفهم التداولية ومسألة التواصل، من طريق إسهامه على المستوى النظري في إدخال مفهوم الاستلزام الحواري الذي مكَّن من فهم اختلاف المألوف بين دلالة الجملة والمعنى الذي يبلغه القول))[٢] فنتج عن تلك الطروحات المنهج التداولي، الذي يولي أهمية قصوى للشروط غير اللغوية، المتعلّقة بالسياق والمقام، والمتكلّمين، ومقاصدهم، وحيثيات الاستعمال[٣].

المطلب الأوَّل

أَدِلَّةُ الإِمَامَةِ في ضوءِ تَحليلِ الأَفْعَالِ الكَلَامِيَّة

تعدُّ نظرية الأفعال الكلاميَّة إحدى أهمِّ الأسس التي قامت عليها اللسانيَّات التداوليَّة في منظومة البحث اللغوي المعاصر، بل إنَّ التداوليَّة في نشأتها الأولى كانت مرادفة للأفعال الكلاميَّة[٤]؛ بوصفها ((المجسِّد الحقيقي للاستعمالات اللغويَّة في الواقع، حيث تهتم بدراسة ما يفعله المتكلمون باللغة؛ من تبليغ وإنجاز أفعال وتأثير، وكلُّ ذلك بغرض إنجاح العملية التواصليَّة بين المتحدِّثين))[٥] وفحواها ((كلُّ ملفوظ ينهض على نظام شكليٍّ دلاليٍّ إنجازيٍّ تأثيريٍّ، وفضلًا عن ذلك يُعدُّ نشاطًا ماديًّا نحويًّا يتوسلُّ أفعالًا قوليَّة لتحقيق أغراض إنجازيَّة كالطلب والأمر والوعد...))[٦] وتعرَّف أيضًا بأنَّها ((إنتاج جملة نمطيَّة أو إلقائها في ظروف معيَّنة))[٧]، وعرَّفها سيرفوني بأنها: مجموعة الملفوظات التي لا تستعمل لوصف

(١) ينظر: التداولية اليوم- علم جديد في التواصل: ٢٠٤- ٢٠٥.
(٢) القاموس الموسوعي للتداولية: ٢١٢.
(٣) ينظر: البعد التداولي عند سيبويه: ٢٤٥-٢٤٦.
(٤) ينظر: آفاق جديدة: ٤٢.
(٥) الافعال الكلامية في سورة الكهف: ٩٨.
(٦) التداولية عند العلماء العرب: ٤٠.
(٧) إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية: ١٥٥.

الواقع أو حالة الأشياء، وبذلك لا يمكن أن تُوصف بأنَّها ملفوظات كاذبة أو صادقة[١]، في حين عرَّفها كريمر بأنَّها: ((أصغر وحدة لاتِّصال لساني، يمارس فيها المتكلِّم فعلًا تجاه السامع، وهو يتكوَّن من مكوِّنين، من محتوى قضوي و وظيفة إنجازيَّة))[٢].

تأتي أهميَّة هذه النظريَّة من مساهمتها في تعديل الانطباع التقليدي للتحليل اللغوي المرتكز على الوصف، ونظرت إلى اللغة بلحاظ قوَّتها الفاعلة في التبليغ والتأثير، ولذلك فالمعلومات المتبادلة بين أقطاب الخطاب تكون ضرورةً مثارةً بشيءٍ ما، وتهدف إلى تحقيق شيءٍ ما، ليكون الخطاب حلقة ضمن سلسلة المحاورة الكلاميَّة التي تدور في فلك الحياة الاجتماعيَّة الواقعيَّة[٣].

تبنَّى مبادئ هذه النظريَّة مجموعة من فلاسفة أكسفورد وعملوا على تطويرها فيما بعد ولا سيَّما أوستين الذي تأثَّر بشدَّة بما نبَّه إليه فتغنشتاين، فتصدَّى للردِّ على فلاسفة الوضعيَّة المنطقيَّة في محاضراته التي ألقاها في أكسفورد ما بين سنتي ١٩٥٢و ١٩٥٤المعنونة بـ (كيف تنجز الأشياء بالكلمات) وقد جمعها أرمسون، وعِدَّتُها اثنتا عشرة، في كتاب نشر بعد وفاة أوستين سنة ١٩٦٠، إضافة إلى جهود سيرل البنائية[٤].

يجتهد البحث في هذا المساق أن يتتبَّع بعض الملفوظات التي تنجز أفعالًا وتؤسِّس للإمامة وحيثيَّاتها من طريق قراءتها قراءةً تداوليَّةً تستحضر جميع أقطاب العمليَّة التواصليَّة لمقاربة المعنى، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:١٢٤] إذ نفيد من الآية المباركة أمرين؛

(١) ينظر: الملفوظية: ٩٥.
(٢) اللغة والفعل الكلامي والاتصال: ٨٩.
(٣) ينظر: نظرية أفعال الكلام عند أوستين: ٨٠.
(٤) ينظر: آفاق جديدة: ٤٢.

الأوَّل بيان مرتبة (الإمامة) والآخر (العصمة) بوصفها لازمًا من لوازمها، بيد أنَّ خلافًا كبيرًا دار بين المفسِّرين بإزاء لفظ (الإمامة) في الآية، فقيل إنَّها بمعنى (القائد) الذي يُقتدى به في عمل الخير[١] ((وإنَّما أرادَ جل ثناؤه بقوله لإبراهيم: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ إنِّي مصيِّرك تؤمُّ مَن بعدك من أهل الإيمان بي وبرسلي، تتقدمهم أنت، ويتَّبعون هديك، ويستنُّون بسنَّتك التي تعمل بها، بأمري إيَّاك ووحيي إليك))[٢] وقيل: ((الجعل هاهنا بمعنى القضاء، أي: قاض لك بالتقدم على الناس بالنبوة ليقتدوا بك))[٣] وفيه نظر على ما سيأتي نقاشه!، وقرينة (العهد) التي قيل في معناها ((هاهنا: النبوة والوحي، وقيل: الرحمة، وقيل: الوعد، والأوَّل: الوجه))[٤]، وعلى كلا التقديرين ((وَجَبَ أَنْ لَا تَثْبُت النُّبُوَّةُ لِلظَّالِمِينَ، وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ عَهْدَ الإمامة وجب أيضا أن لا نثبت الْإِمَامَةَ لِلظَّالِمِينَ ... لِأَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ لَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ إِمَامًا يُؤْتَمُّ بِهِ وَيُقْتَدَى بِهِ. وَالْآيَةُ عَلَى جَمِيعِ التَّقْدِيرَاتِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ لَا يَكُونُ مذنبًا))[٥] ولعلَّ ما يلفت انتباه القارئ هو التغايرُ في بناء الفعلين (تثبت/ نثبت) في قول الرازي: (وَجَبَ أَنْ لَا تَثْبُتَ النُّبُوَّةُ لِلظَّالِمِينَ ... وجب أن لا نثبت الْإِمامةَ لِلظَّالِمِينَ) وكأنَّه يريد القول: إنَّ النبوَّةَ تثبتُ من اللَّه سبحانه، والإمامةَ تثبتُ من الناس؛ من قوله (تثبت) التي جعل النبوَّة هي الفاعل مجازًا وإلَّا فإنَّ اللَّه يصطفي من عباده المخلَصينَ، وقوله: (نثبت) التي تدلّ على جماعة المتكلِّمين الذي يدلُّ بأنَّ النَّاس هم من يختارون الإمام، فعندهم أنَّ لفظ (الإمام) أقصى معانيه التكريميَّة هي (النبوَّة)، ولم يبتعد هذا التوجه عن المعنى الوضعي الذي أثبتته المعجمات، بل تحرَّك المفسِّرون في دائرة الدَّلالة المعجميَّة للفظة.

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١/ ١٣٦، والتصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه: ١٠٩، وجامع البيان في تأويل القرآن: ٢/ ١٨، والوجوه والنظائر: ٢٨.
(٢) جامع البيان في تأويل القرآن: ٢/ ١٨، وينظر: تفسير الماتريدي:١/ ٥٥٥، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن: ١/ ١٦٢، والكشاف: ١/ ١٨٤.
(٣) الوجوه والنظائر:٢٩.
(٤) م. ن:٢٩، وينظر: مفاتيح الغيب: ٣/ ٤٥٧.
(٥) مفاتيح الغيب: ٣/ ٤٥٧.

إنَّ (الإمامة) التي قدَّمها النصُّ القرآنيُّ جاءت بعد ابتلاء، وهو الاختبار[١] والتقديم الواجب في السياق يستلزم عناية واهتمامًا بالأمر[٢] المشروط بإتمام ذلك الاختبار (فأتمَّهن/ الآية) ممَّا يؤكِّدُ أنَّ لفظَ (إمام) هنا أصابه انتقالٌ دلاليٌّ من المعنى المعجمي إلى معنى اصطلاحي إسلامي مخصوص بفئة من دون أخرى على وفق قيد توضِّحُه قرينة (لا ينال...) وعلى ذلك لا تقوى توجيهات أكثر المفسِّرين بأنَّ المراد بـ(إماما) النبوَّة؛ لأنَّ إبراهيم عليه السلام كان نبيًّا حين خُوطِب بها[٣]، وعلى ما يبدو أنَّه عليه السلام نال منصبَ الإمامة عندما بلغ من عمره مبلغ الشيخوخة، بقرينة (قال ومن ذريتي) التي تشير إلى أنَّه عليه السلام كان عنده ذريَّة- إذا حملنا اللفظ على خصوصه- ومن المعلوم قرآنيًّا أنَّ إبراهيم عليه السلام قد تجاوز به العمر الشيخوخة حتى رُزِق بذريَّة، فما الفائدة معنويًّا أن يُخبَر أنَّه -عليه السلام- نبيٌّ بتعبير (الإمام)؟ وفي ذلك ردٌّ على العموم الذي أطلقه الفخر الرازي الذي قضى بأنَّ الناسَ هي من تختار (الإمام) عند تفسيره الآية بدليل استعماله الفعل (نُثْبِت) وليست في عقيدته - الإمامة- تعيينًا من اللَّه سبحانه؛ وهذا مردود أيضًا بصريح الآية التي تُخبر أنَّ اللَّه عز وجل قد جعل إبراهيم عليه السلام إمامًا، أمَّا بلحاظ المعنى المعجمي فللناس أن تختارَ من تأتمُّ به في الصلاة وغيرها من الأعمال، بيد أنَّه في الآية المباركة يخرج من دائرة اختيار النَّاس، فيتطلَّب لمعرفة معنى لفظة ما هو حصر القرائن التي تحفُّ بها ((ثمَّ بعد ذلك يتعيَّن النَّظر في دلالة الألفاظ وذلك أنَّ إفادة المعاني على الإطلاق من تراكيب الكلام على الإطلاق يتوقَّف على

(١) ينظر: مجاز القرآن: ١/ ٥٤.

(٢) ينظر: الكتاب: ١/ ٣٤.

(٣) وردت آثار كثيرة تبيِّن مرتبة الإمامة في التشريع الإسلامي منها ما ذكره الشيخ الكليني أنَّ ((أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَه نَبِيًّا وإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَه نَبِيًّا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَه رَسُولًا وإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَه رَسُولًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَه خَلِيلًا وإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَه خَلِيلًا قَبْلَ أَنْ يَجْعَلَه إِمَامًا فَلَمَّا جَمَعَ لَه الْأَشْيَاءَ قَالَ ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قَالَ: فَمِنْ عِظَمِهَا فِي عَيْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: ﴿ومِنْ ذُرِّيَّتِي قالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ قَالَ: لَا يَكُونُ السَّفِيه إِمَامَ التَّقِيِّ)).الكافي: ١/ ١٧٥.

معرفة الدِّلالات الوضعيَّة مفردة ومركَّبة والقوانين اللِّسانيَّة في ذلك هي علوم النَّحو والتَّصريف والبيان))[١].

إذا قرأنا تركيب ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ على وفق حيثيات الفعل الكلامي، نجده- التركيب- قد أنجز فعلًا كلاميًّا من صنف الإيقاعيَّات[٢]: وهي التي يكون إيقاع الفعل فيها مقارنًا للفظه في الوجود، فأنت تنجز بالقول فعلًا، ويقابل هذا النوع من الأفعال في تقسيم سيرل (الإعلانيَّات)[٣]، وهي ((تتَّسع لتشمل أفعال البيع والشراء، والهبة والوصية، والوقف، والإجازة، والإبراء من الدين، والتنازل عن الحق، والزواج، والطلاق، والإقرار والدعوى، والإنكار والقذف، والوكالة، وإعلان الحرب، وهذه الأفعال كلها يقع الفعل بمجرد النطق بلفظها))[٤]، ولا يخفى أنَّ هذا الصنف يمثِّل نقطة انطلاق النظرية كلَّها، وتقتضي لتحقُّقها أن يكون المتكلِّم يمتلك السلطة التي تؤهِّله لإنجاز هكذا أفعال إذ ((يتوجَّب على المتكلِّم تسنُّم دورًا مؤسَّساتيًّا في سياق معيَّن لإنجاز الإعلان بصورة صحيحة))[٥]، بمعنى أنَّ منتج الخطاب يمتلك السلطة التي تؤهِّله لإيقاع الفعل، وهذا على مستوى طبقات المجتمع، ولا يقاس عليه كلام الذات المقدَّسة؛ لأنَّ له السلطة المطلقة التي لا يشاركه أحد فيها، فهو القادر على كلِّ شيء، لكنَّ هذه تنظيرات وضِعَت لقراءة اللغة لا غير، فقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ يمثِّل فعلًا كلاميًّا ناجحًا لتحقُّق شروطه من جهة الصدور، ومن جهة التحقُّق في الخارج، وبمجرَّد التلفظ بالنصِّ تحقَّقت

(١) ديوان المبتدأ والخبر: ٥٧٤- ٥٧٥.
(٢) سنعتمد على تصنيف الدكتور محمود أحمد نحله؛ لأنّه يعدّ أوّل اشتغال عربيٍّ في تصنيف الأفعال الكلامية، ينظر: آفاق جديدة: ٩٨.
(٣) ينظر: م. ن: ٨٠، و يقابلها الدكتور عادل فاخوري بـ (التصريحيات) وهي ترجمة ثانية لمصطلح سيرل على هذه المجموعة نفسها . ينظر: محاضرات في فلسفة اللغة: ١٢١.
(٤) آفاق جديدة: ٩٨.
(٥) التداولية: ٨٩.

الإمامة للنبيِّ إبراهيم عليه السلام، ولنا أن نبيِّن تفصيله:

– الفعل النطقي: وهو يشمل الجوانب الصوتية والمعجمية والنحوية، وقوامه في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ هو المسار التركيبي: إنَّ + ياء المتكلم+]جاعل + كَ[+ حرف الجر(لـ) + الناس + إماما.

– الفعل القضوي: الذي يشمل المتحدث عنه أو المرجع، والمتحدث به أو الخبر، وهو النبي إبراهيم عليه السلام وموضوع الإمامة.

– الفعل الإنجازي: وهو ما يؤديه التلفظ من إنجاز فعل في الواقع، تعيين النبي إبراهيم عليه السلام إماما للناس، ومن كان معصومًا من ذريَّته.

– الفعل التأثيري: هو ما يتركه إنجاز الفعل من أثر في متلقِّيه، تمتع النبي إبراهيم بصلاحيات منصب الإمامة وهي وجوب الطاعة، وله الولاية العامة على الناس.

النَّص القرآني لا يقف عند زمان معيَّن ومكان؛ وإنَّما تسري قوانينه وأحكامه إلى قيام الساعة، وقد جعل اللَّه تبارك وتعالى للإمامة امتدادًا في ذريَّةِ إبراهيمَ عليه السلام وقيَّدَ ذلك الامتدادَ بالمعصومينَ من ذريَّته عليه السلام بقرينة ﴿لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ وفُسر الظالمون ((مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ وَ ذَبَحَ لِلْأَصْنَام))[1] وهو((خبر من اللَّه جل ثناؤه عن أن الظالم لا يكون إماما يقتدي به أهل الخير...لأنَّ الإمامة إنَّما هي لأوليائه وأهل طاعته، دون أعدائه والكافرين به))[2] وقوله تعالى ﴿لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ فعلاً كلاميًّا من نوع الإيقاعيَّات –أيضًا – يمثِّل قانونًا عامًّا يقضي باستحالة تولِّي منصب الإمامة إلَّا المعصوم من الذنوب والمعاصي.

---

(١) تفسير فرات الكوفي: ٢٢٢. وقال بعد ذلك: ((وَ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَ الْعَرَبِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُبْعَثَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله إِلَّا وَ قَدْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ وَعَبَدَ الْأَصْنَامَ وَذَبَحَ لَهَا مَا خَلَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، فَإِنَّهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْهِ الْقَلَمُ أَسْلَمَ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ إِمَامٌ أَشْرَكَ بِاللَّهِ وَ ذَبَحَ لِلْأَصْنَامِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِين)).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن: ٢/ ٢٠.

المطلب الثاني

تحليلُ أَدِلَّة الإِمَامَةِ على وفقِ التَّقنيَّاتِ الحِجَاجيَّة

أسَّس اللغويُّ الفرنسيُّ أوزفالد ديكرو وتلميذه جين كلود انسكومبر في عام (١٩٧٣م) نظريَّة حجاجيَّة لسانيَّة في كتابهما المشترك (الحِجَاج في اللغة)[١] فقدَّما تأسيسًا للروابط الحجاجيَّة وبيان أثرها في ربط الحجج وبنائها في كلِّ لغويٍّ متماسك؛ الغاية منه الكشف عن مضامين الحجج وتعاقبها قوَّة في التأثير، وما يحمل ذلك في طيَّاته معنى، وما سلكاه من التنظير الدقيق للسلَّم الحجاجي وبيان قوانينه التي تضبط انتظام الحجج فيه[٢]، ومؤدَّى الحجاج ((أن يقدِّم المتكلِّم قولًا (ق١) (أو مجموعة أقوال) موجَّهة إلى جعل المخاطَب يقبل قولًا آخر (ق٢) (أو مجموعة أقوال أخرى) سواء أكان (ق٢) صريحًا أم ضمنيًّا))[٣] ولهذا التنظير مصاديقُ كثيرةٌ في الاستعمال العربي، وما يهمُّنا هنا هو قراءة أدلَّة الإمامة وتجلِّياتها على وفق ذلك؛ إذ يعدُّ النبيُّ محمدٌ ﷺ امتدادًا لسلسلة الأنبياء عليهم السلام ولا سيَّما النبيُّ إبراهيم عليه السلام من طريق النبيِّ إسماعيل عليه السلام[٤]، ويطالعنا أوَّل سلوك تبليغي اتَّخذه الرسول ﷺ في تبليغ الدعوة الإسلاميَّة هو تطبيق مضمون قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] فجمع عليه السلام أكابر عشيرته، وقال: ((إنَّ الله بعثني إلى الخلق كافَّة، وبعثني إليكم خاصَّة... وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان، تملكون بهما العرب والعجم، وتنقاد لكم بهما الأمم، وتدخلون بهما الجنَّة، وتنجون بهما من النَّار، شهادة أن

(١) ينظر: السلالم الحجَاجية، أوزفالد ديكرو، ترجمة صابر الحباشة:٥/ ٧٤.
(٢) ينظر: الحِجَاج والمعنى الحِجَاجي: ٦٣.
(٣) نظرية الحِجَاج في اللغة، الدكتور شكري المبخوت: ٣٦٠.
(٤) قال رسول الله ﷺ: ((إن اللّه اصطفى من ولد آدم إبراهيم واتّخذه خليلًا، ثمّ اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، ثمّ اصطفى من ولد إسماعيل نزارًا، ثمّ اصطفى من ولد نزار مضر، واصطفى من ولد مضر كنانة، ثم اصطفى من كنانة قريشًا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفى من بني هاشم بني عبد المطلب، واصطفاني من بني عبد المطلب)) مسند أحمد بن حنبل: ٢٨/ ١٩٣.

لا إله إلا الله وأنِّي رسول الله، فمن يجيبني إلى هذا الأمر ويؤازرني عليه وعلى القيام به، يكن أخي ووصي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي، فلم يجب أحد منهم فقال أمير المؤمنين عليه السلام: فقمت بين يديه من بينهم، وأنا إذ ذاك أصغرهم سنًّا، وأحمشهم ساقًا، وأرمضهم عينًا - فقلتُ: أنا- يا رسول الله - أؤازرك على هذا الأمر. فقال: اجلس، ثم أعاد القول على القوم ثانية فاصمتوا، وقمتُ فقلتُ مثل مقالتي الأولى، فقال: اجلس. ثم أعاد على القوم مقالته ثالثة فلم ينطق أحد منهم بحرف، فقلتُ: أنا أؤازرك - يا رسول الله على هذا الأمر، فقال: اجلس، فأنت أخي ووصيي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي، فنهض القوم وهم يقولون لأبي طالب: يا أبا: طالب، ليهنك اليوم إن دخلت في دين ابن أخيك، فقد جعل ابنك أميرًا عليك))[1].

إنَّ أحداثَ حديثِ الدارِ تشتملُ على إنجاز كلاميٍّ متحقِّق الوجودِ، اتخذ الرسول صلى الله عليه وآله في تبليغ مضمونه منحًى حجاجيًّا، وما طرحه النبيّ صلى الله عليه وآله من دعوة في تلك الواقعة هي أقرب إلى المحاججة منها إلى الحقيقة؛ لأنَّه يعلم سرائر القوم، وما سلكه من أسلوب تبليغي يؤكِّد ذلك؛ إذ أعلن عن وصيِّه ووزيره والدعوة لم تظهر بعد في الواقع، وقد وظَّف الرابط الحجاجي (الواو) الذي يدلُّ على المشاركة في الفعل والنتيجة بين مفاصل الخطاب، نجده قد عطف: (تملكون بهما العرب والعجم، وتنقاد لكم بهما الأمم، وتدخلون بهما الجنة، وتنجون بهما من النار) أمَّا النتائج المضمرة فهي تستلزم العكس تمامًا؛ بمعنى من لم يؤازره صلى الله عليه وآله لا يملك، ولا تنقاد له الأمم، ولا يدخل الجنّة، ولا ينجو من النار)، وكذلك قوله (صلى الله عليه وآله عند استعماله اسم الشرط (من) بوصفه رابطا حجاجيًّا مع (الواو): (فمن يجيبني إلى هذا الأمر ويؤازرني عليه وعلى القيام به، يكن أخي ووصي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي) وهذا يستلزم حجَّة مضمرة قوامها:

(١) الإرشاد: ٤٩.

من لم يؤازره لن يكون أخيه ولا وصيه، ولا وزيره، ولا وارثه، ولا خليفته من بعده. فلم يجبه أحد على الرغم من تكراره ثلاث مرات، وفي كلِّ مرَّة يكون المجيب الإمام علي عليه السلام فأنجز بهذا التكرار في الدعوة فعلا كلاميًّا يفيد (التبكيت والتعجيز) وحتى يقطع على قائل أنَّ الأمر مقطوع للإمام علي عليه السلام، ويكشف أيضا سرائر القوم الذين نصبوا العداء للإسلام، من الذين وهبوا كلَّ شيء للإسلام، وعلى ذلك يكون الترابط وثيق جدًّا بين آية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾ ومصداق واضح، لـ ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ وقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله للإمام علي عليه السلام هو من فعل الإيقاعيَّات؛ إذ أعلنه أخًا ووصيًّا ووزيرًا ووارثًا وخليفةً له من بعده، فأيّ بيان أدقّ من هذا البيان الذي تفاعلت الأدلَّة القرآنيَّة والأحاديث النبويَّة على بيانه، ولنا أن نعرض أدلَّة (الإمامة) على وفق السلَّم الحجاجي الآتي:

١- سلَّم الحجج المباشرة/ الإيجابي:

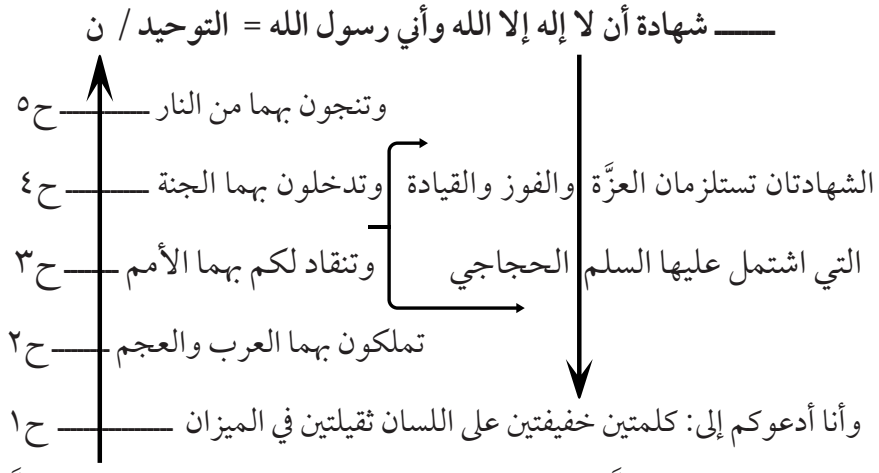

تتَّخذ الحجج في السلَّم منحًى تصاعديًّا، وهذا يقتضي بحسب قانون السلَّم الحجاجي أنَّ الحجَّة الأعلى تستلزم الحجَّة الأدنى وزيادة، ولو تأمَّلنا الحجَّة (ح٢) نجدها تستلزم (ح١)؛ لأنَّ انقياد الأمم يستلزم ملك العرب والعجم، وكذا

النجاة من النار في (ح٥) تستلزم (ح٤) وهي دخول الجنَّة، وهذا كله تستلزمه النتيجة (ن) وهي (التوحيد) بشرطها وشروطها، وهذا لعامَّة المسلمين، وعلى مستوى الأشخاص، فإنَّ الذي يلبّي جميع حجج السلم؛ وهي الإجابة، والولاية، والوزارة، والإمامة، وإخوة الرسول، تكون نتيجته (الإمامة) بحسب ما مبيَّن في المخطط الآتي:

٢- سلَّم الحجج المباشرة:

وكل سلَّم يستلزم نتائج سلبية في حال عدم الإذعان والتلبية، فإذا كانت تلك حجج ظاهرة مع نتائجها، فعدم الإجابة تستلزم نتائج عكسيَّة عقلًا، ومنطقًا، بحسب ما ذكرنا سابقًا.

يكن أخي ووصيي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي = ن

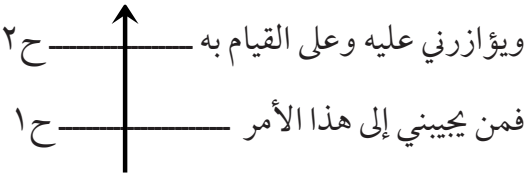

٣- سلم الحجج العكسيَّة:

لن يكن أخي ووصيي ووزيري ووارثي

وخليفتي من بعدي = ن/ إمام

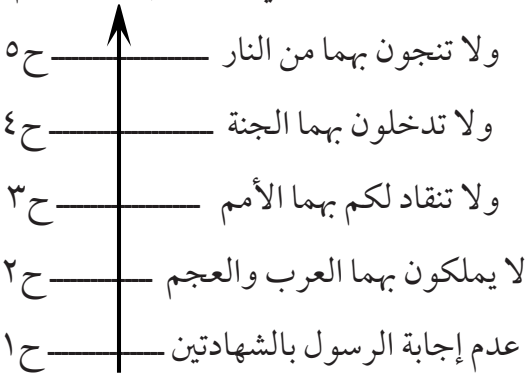

الخاتمة

بعد هذه السياحة العلميَّة في روضة العقيدة، نقطف ثمار البحث، لنثبتها في الآتي:

١- لقد حرص القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف على ترسيخ عقيدة الإمامة؛ وقد جاءت النصوص تؤيِّد ما كان، لا تصف ما يكون، إذ جاءت في آية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ جملة الحال (وهم راكعون) لتبيَّن حدثًا عاشه المسلمون ويعلمون المعنيَّ به، فهو وصف لما كان، حتى لا يبادر من يسوِّل له نفسه للتصدِّي إلى غير حقٍّ ومكانةٍ واستحقاق.

٢- جاءت الأحاديث النبويَّة في هذا الشأن خاصة- وكل الأحاديث الصحيحة- موافقة للخطاب القرآني بدقَّة، وتعد امتدادًا للقرآن، وتفصيل لمجمله.

٣- لقد طرأ على لفظ (الإمام) تغيّرٌ دلاليٌّ ليُخصَّصَ بوصفه مصطلحًا إسلاميًّا له أصوله وحقوقه في الإسلام، ومخالفة تلك الأصول والثوابت تؤدِّي إلى زيغ صاحبها وكفره.

٤- لقد بادرَ الرسول الكريمﷺ في أوَّل حادثة تبليغ في الدين الإسلامي إلى تأسيس عقيدة الإمامة، وقد قامت تلك الحادثة على أمور اعجازيَّة واضحة، ابتداء من وليمة الطعام القليلة والشراب، إلى طبيعة خطاب الرسولﷺ بنزعته المقطوع منها في تحقّق أمر الدين وانتشاره، فكان فحوى الحادثة هو عرض الدين عليهم ودعوتهم إلى الإسلام تماشيا مع النص القرآني بوصف هذا الأمر متحقق لا محالة ، لا أن ينتظر موافقتهم في النهوض به أو لا .

٥- لم يكن أمر (الإمامة) و(الوزارة) و(الخلافة) بدعًا؛ بل هي عقيدة قارَّة من زمن آدم وإبراهيم عليهما وعلى رسولنا الصلاة والسلام.

٦- لقد تميَّز النظام اللغوي الذي قدَّم عقيدة الإمامة بإحكام ترابطه، ودقَّة سبكه، ليدحض التحريف المعنوي فيها، ومع هذا كلِّه فقد حاول المعاندون لي عنق النص بما يتوافق مع عقيدة أسلافهم.

٧- تمثِّل التداوليَّة منهجًا دقيقًا في تقصِّي مجريات الخطاب، ومقاربة قصد المتكلِّم؛ لأنَّها تدرس الخطاب من جميع النواحي اللغويَّة والمقاميَّة، لتفهّم المتكلم وماذا قال؟، والمخاطب وماذا فهم؟.

٨- كشفت الروابط الحجاجيَّة عن عقيدة الإمامة على وفق تشارك الحجج وتصاعدها وصولًا إلى النتيجة، لدحض أيّ تشكيك في هذا المعتقد الأصيل، فالتقنيات الحجاجيَّة من وسائل كشف المعنى بشكل منظَّم ودقيق.

٩- كان للعقيدة أثر بارز في توجيهات المفسّرين للخطاب القرآني، والأحاديث النبويَّة، فأخضعوا النصّ لفكرهم، ولم يعملوا فكرهم في بيان مراد النص.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د محمود أحمد نحلة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.

٢- الاتجاهات النحوية لدى القدماء، دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، حليمة أحمد عمايرة، دار وائل، الأردن، ط١، ٢٠٠٦م.

٣- الإرشاد، الشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ)، مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٤- الأسلوبية والبيان العربي، الدكتور عبدالمنعم خفاجي، والدكتور محمد السعدي فرهود، والدكتور عبدالعزيز شرف، المطبعة الفنية، الناشر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م.

٥- إعراب القرآن المنسوب للزجاج، علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن نور الدين جامع العلوم الأَصْفهاني الباقولي (ت: ٥٤٣هـ)، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتب اللبنانيَّة، بيروت، ط٤، ١٤٢٠ هـ.

٦- الاقتصاد، الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، منشورات مكتبة جامع جهلستون، طهران، مطبعة الخيام- قم، ١٤٠٠هـ.

٧- إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية، الدكتور شكري عياد المبخوت، مركز النشر الجامعي، كلية الآداب والفنون الإنسانيات، جامعة منوبة، تونس، (د.ت): ١٥٥.

٨- البحوث اللغوية والأدبية (الاتجاهات، والمناهج، والإجراءات)، د. هادي نهر، دار الأمل، الأردن، ط١، ٢٠٠٥م.

٩- البعد التداولي عند سيبويه، د. إدريس مقبول، عالم الفكر، العدد الأول، مج ٣٣، ٢٠٠١.

١٠- البلاغة العربية، قراءة أخرى، الدكتور محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.

١١- التداوليات وتحليل الخطاب، الدكتور: جميل حمداوي، مكتبة المثقف، ط١، ٢٠١٥م.

١٢- تداولية الخطاب السردي دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، محمود طلحة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١، ٢٠١٢م.

١٣- التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن ريبول، ترجمة: الدكتور سيف الدين دغفوس، والدكتور محمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣م.

١٤- التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، د مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥م.

١٥- التداولية، جورج يول، ترجمة: د قصي العتابي، الدار العربية للعلوم، الرباط، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

١٦- التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معاني، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت: ٢٠٠هـ)، قدمت له وحققته: هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٩ م.

١٧- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

١٨- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، تح: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

١٩- تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي (ت: ٣٠٧هـ) مؤسسة الطبع والنشر في وزارة الإرشاد الإسلامي، طهران، ط١، ١٤١٠هـ.

٢٠- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢١- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٢- الحِجَاج والمعنى الحِجَاجي، بحث ضمن كتاب (الحِجَاج مفهومه ومجالاته) فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس،١٩٩٨م.

٢٣- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون الحضرمي الإشبيلي (ت: ٨٠٨هـ)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٢٤- السلالم الحِجَاجية، أوزفالد ديكرو، ترجمة صابر الحباشة، بحث ضمن كتاب (الحِجَاج مفهومه ومجالاته).

٢٥- سيميوطيقا اللغة وتحليل الخطاب- الإعلان التلفزيوني، د. حسنة عبد السميع، الناشر عين للدراسات والبحوث، مصر، (د. ط)، ٢٠٠٥م.

٢٦- شرح أصول الكافي، مولي محمد صالح المازندراني (ت:١٠٨١هـ(، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢١-٢٠٠٠م.

٢٧- شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، د. مُساعِدُ بن سُلَيْمَان بن نَاصِر الطَّيَّار، دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٨ هـ.

٢٨- الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني (منهجًا وتطبيقًا)، الدكتور أحمد علي دهمان، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط١، دمشق، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٢٩- العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، ترجمة: د. سعيد الغنامي، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة - الجزائر، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٣٠- علم اللغة العام، فردينان دي سوسور، ترجمة: الدكتور يوئيل يوف عزيز، مراجعة النص العربي: د. مالك وسف المطلبي، دار آفاق عربية، ١٩٨٥م.

٣١- القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلار وآن ريبول، ترجمة: مجموعة من الاساتذة والباحثين، باشراف: عز الدين المجدوب، مراجعة: خالد ميلاد، السحب الثاني، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، (د. ط)، ٢٠١٠م.

٣٢- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت: ١٨٠هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٣٣- الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد،

الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ.

٣٤- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧هـ)، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢، هـ-٢٠٠٢م.

٣٥- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين مُحَمَّد بن مكرّم بن منظور الأفريقيّ المصريّ (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٠٠هـ.

٣٦- اللسانيات والدلالة، د. منذر عياشي، مركز الانماء الحضاري حلب، ط١، ١٩٩٦م.

٣٧- اللغة والفعل الكلامي والاتصال، زيبيلة كريمر، ترجمة: الدكتور سعيد البحيري، ط١، ٢٠١١م: ٨٩.

٣٨- اللغة والمعنى مقاربات في فلسفة اللغة، (مجموعة باحثين)، إعداد وتقديم: مخلق سيد أحمد، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٣٩- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (ت: ٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٣٨١ هـ.

٤٠- محاضرات في فلسفة اللغة، د. عادل فاخوري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠١٣م.

٤١- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٤٢- معالم التنزيل في تفسير القرآن - تفسير البغوي محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ)، تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد اللَّه النمر، عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٤٣- معالم التنزيل في تفسير القرآن - تفسير البغوي محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ)، تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد اللَّه النمر، عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٤٤- معجم علم اللغة النظري، الدكتور محمد علي الخولي، ط١، لبنان، ١٩٨٢م.

٤٥- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٦- مفاتيح الغيب - التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣ - ١٤٢٠ هـ.

٤٧- المكوّن التداولي في النظرية اللسانية العربية ظاهرة الاستلزام الحواري أنموذجا، (دكتوراه)، ليلى جادة، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر- باتنة، الجزائر، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

٤٨- الملفوظية، جان سيرفوني، ترجمة: الدكتور قاسم المقداد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٨٩٨م: ٩٥.

٤٩- نظام الجملة العربية، سناء حميد البياتي، (رسالة ماجستير) كلية الآداب - جامعة بغداد، ١٤٠٤هـ -١٩٨٣م.

٥٠- النظريات اللسانيات الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ماري آن بافو جورج الياسرفاتي، ترجمة: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠١٢م.

٥١- نظرية أفعال الكلام عند أوستين، نصيرة غماري، مجلة اللغة والأدب، الجزائر العاصمة، العدد ١٧، ٢٠٠٦: ٨٠.

٥٢- نظرية الحِجَاج في اللغة، الدكتور شكري المبخوت، بحث ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس،١٩٩٨م: ٣٦٠.

٥٣- نهج البلاغة، ضبط وابتكر فهارسهُ العلمية الدكتور صبحي الصالح، بيروت، ط١، ١٩٦٧م.

٥٤- الوجوه والنظائر، لأبي هلال العسكري (معتزلي) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط٣، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.